الجمهوريّــة الجزائريّــة الدّيمقراطيّــة الشّعبيّــة

وزارة التّعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الدّكتور مولاي الطّاهر– سعيدة –

كليّة الآداب واللّغات والفنون

قسم اللّغة العربية وآدابها

تخصص: نقد عربي قديم

مذكّرة مكملة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي موسومة بـ:

نظام البديع في التراث العربي

"مقاربة في مسارات تحول الذوق النقدي"

إعداد الطّالب:

- حمامي أيوب

إشراف الأستاذ:

د.هاشمي الطاهر

–أعضاء لجنة المناقشة:

الرقم	الاسم واللقب	الرتبة	مؤسسة الانتماء	الصفة
01	عبد القادر عبو	أستاذ التعليم العالي	جامعة سعيدة	رئيسا
02	الطاهر هاشمي	أستاذ محاضر(أ)	جامعة سعيدة	مشرفا ومقررا
03	محمد رويسات	أستاذ التعليم العالي	جامعة سعيدة	مناقشا

السّنــة الجامعيّــة

1442 – 1443 هجري

الموافق لـ 2020 – 2021 ميلادي

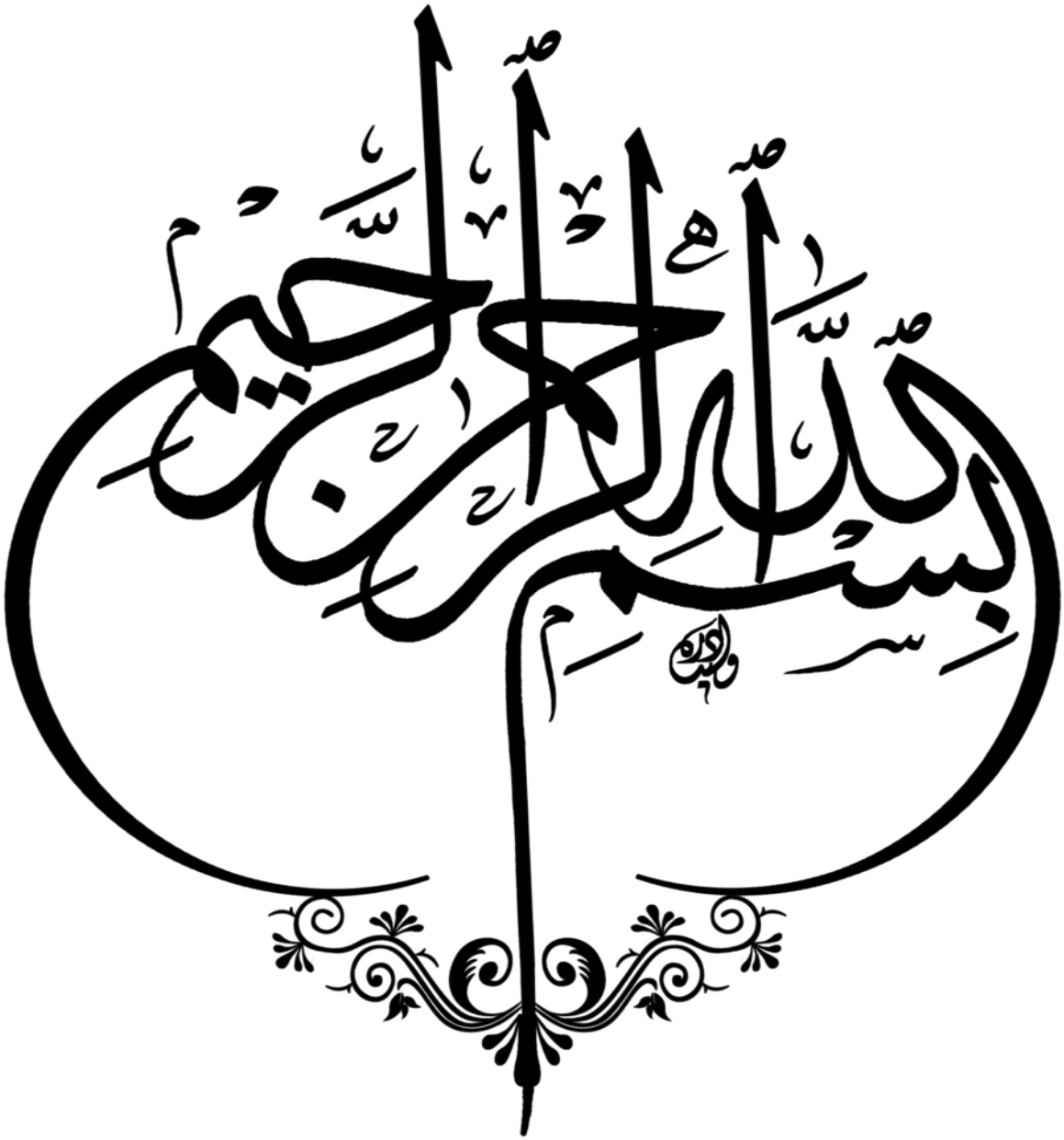
بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء:

إلى كل من لي مكانة في قلبه،
وجانب من تفكيره.
كل من يهبني جزءاً من حبه،
وشيئاً من تقديره.

شكر وعرفان:

أولا اشكر الله تعالى وأحمده على هذا المقام الذي أنا فيه، فالحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم":من لا يشكر الناس، لا يشكر الله"

ولهذا أتقدّم بجزيل الشكر إلى أستاذي الفاضل :الأستاذ هاشمي الطاهر، الذي لم يبخل عليّ بتوجيهاته ونصائحه القيمة، والذي أغدق عليّ بكرم صبره وصدق نصحه،

كما أتوجه بالشكر الجزيل إلى اللجنة المناقشة التي شرفتني بقبول قراءة ومناقشة وتقييم هذا العمل المتواضع.

والشكر موصول أيضاً إلى الوالدين الكريمين، اللذين جلباني إلى الحياة وعلماني الحب والإنسانية.

وإلى الأستاذة مخلوف حفيظة التي تفتح دوما لي ذراعيها وقلبها ومكتبتها. ودرستني الأدب، وعلمتني الآداب.

والأستاذة دحماني فاطمة الزهراء على متابعتها لي طوال فترة بحثي، ومشاركتها معي مكتبتها وخبرتها.

شكرا لصديقيّ الحميمين وخليليّ، زياني عبد الرزاق ومعاشو معاذ على التشجيع والدعم المعنوي.

إلى كلّ من ساعدني على إتمام هذا البحث، ولو بكلمة طيبة،

شكرا لكم جميعا.

حمامي أيوب.

مقدمة.

مقدمة:

إن الـذوق فطـرة في الإنسـان يميـز مـن خلالهـا الحسـن مـن القبـيح، وبممارسـته عمليـة التـذوق علـى الفـن بشـكل عـام يصـبح استحسـانه أو اسـتنكاره لهـذا الفـن عبـارة عـن نقـد، وإن كان في ذاتيته غير مبرر أو مفسر فسيبقى شكلاً من أشكال النقد والتذوق.

والنقد هو التقدير الصحيح لأي أثر فني وبيان قيمته في ذاته، ودرجته بالنسبة إلى سواه؛ أي أنه عملية فحص وموازنة وتمييز وحكم.

فهو كما جاء في "أصول النقد الأدبي" لـ**أحمد الشايب**، يدرس العمل الأدبي فحصاً وتحليلاً ومقارنةً. ويحدد مدى تأثر العمل الأدبي بالمحيط ومدى تأثره فيه من ناحية تاريخية، ومعرفة ماذا أخذ هذا العمل الأدبي ومدى استجابته للبيئة من الناحية الفنية. ويفسر النقد الآثار الأدبية ويبين الأصول اللازمة لفهمها والوجوه التي تفهم عليها وهو بذلك ييسر قراءتها على الناس. فهو لا يقف عند بيان المساوئ والمحاسن وإنما يتعدى ذلك إلى اقتراح ما ينهض بالأدب ويوسع دائرته إلى فنون جميلة وأساليب ممتعة.

وإذا تعمقنا في النقد الشعري الذي حاول تصويب الشعر وتمييز جيده من رديئه منذ العصور الأولى، فسنجد أن رحلته طويلة جدا ومضاربها شتى.

والنقد الأدبي العربي مر بمراحل عدة -نخص بذكر ما درسنا منها في هذا البحث المتواضع- الموسوم بـ: نظام البديع في التراث العربي "مقاربة في مسارات تحول الذوق النقدي". انتقالا من النقد الانطباعي، وعبر نقد الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة خلال عصر صدر الإسلام، مرورا بنقد الخلفاء وملوك العصر الأموي، إلى أن نصل إلى العصر العباسي في نقده التاريخي والمنهجي.

وقبل الخوض في تجليات البديع ومسارات تحول الذوق النقدي عند العرب تواجهنا الإشكالات التالية: كيف كان شكل النقد الانطباعي خلال العصور الأولى، الجاهلي وصدر الإسلام ثم الأموي؟

وضمن هذه الإشكالية تندرج بعض التساؤلات حاولنا الإجابة عنها في خضم هذا البحث وهي كالتالي:

كيف نشأ النقد المنهجي عند العرب وما هي أهم النظريات التي تم التنظير فيها خلال العصر العباسي؟ وما هي أهم المؤلفات النقدية في العصر العباسي ومن هم واضعوها؟

وسبب اختيارنا لهذا الموضوع هو اقتراح الأستاذ المشرف وحرصنا على الاطلاع والتثقف أكثر في بداية النقد والابداع الشعري العربي وإرهاصاته.

ارتأينا أن تكون خطة بحثنا هذا مكوّنة من ثلاثة فصول يتقدمها **مدخل**، حرصنا من خلاله على التمهيد للموضوع وكذا الإشارة إلى مسائل مهمة ينبغي على الباحث في نقد الشعر العربي أن يمر عليها، بعدها مباشرة أدرجنا الفصول وتحتها المباحث كالآتي:

- **الفصل الأول**: فكرة البديع في الثقافة الشفوية القديمة.

المبحث الأول: البديع والذوق الفطري الجاهلي.

المبحث الثاني: البديع والقيم الدينية في المجتمع الإسلامي الجديد.

المبحث الثالث: البديع والذوق الجمالي في ظل تطور مظاهر الحياة الاجتماعية.

- **الفصل الثاني**: البديع وتحولات الذوق الشعري في العصر العباسي.

المبحث الأول: مظاهر التحول في الشعر العباسي.

المبحث الثاني: إرهاصات تشكل النقد الذوقي الجديد.

المبحث الثالث: البديع والنقد المنهجي عند العرب.

الفصل الثالث: جانب تطبيقي –كتاب البديع لابن معتز–.

المبحث الأول: ترجمة لابن معتز. وبطاقة كتاب لكتاب البديع.

المبحث الثاني: تلخيص لأبواب كتاب البديع.

المبحث الثالث: البديع في كتاب البديع.

ثم **خاتمة** جاءت كحوصلة سجلنا فيها أهم النتائج المتوصّل إليها.

وفي ختام هذا البحث أدرجنا قائمة جمعنا فيها **المصادر والمراجع** التي اعتمدنا عليها في إعداد هذه المذكرة، ثم جاء **الفهرس** باعتباره دليلا لها. ولقد حاولنا جاهدين أن نوفق بين فصول ومباحث هذه المذكرة، معتمدين في جانبها النظري على المنهج التاريخي، أما الجانب التطبيقي فارتأينا أن نستعمل المنهج الوصفي التحليلي، وأنه المساعد في خوض غمار هذه التجربة.

كما كان الخوض في هذا البحث متعباً وشاقاً، نظراً لشمولية الموضوع واتساعه الكبير، ولكمية المعارف وتشعبها، فكانت كثرة المراجع سبباً في تأخري نوعا ما، وحيرتي في اختيار الأنسب منها والنصوص الأبلغ فيها، وهذا ما زاد من صعوبة البحث لدينا، كما واجهتنا صعوبات أخرى منها نقص الخبرة في التعامل مع بعض القضايا النقدية، وترتيب المسائل حسب أهميتها والنماذج حسب قيمتها.

لكـنّ ورغـم كـلّ هـذه العوائـق لم تمنعنـا مـن تقـديم هـذه المـذكرة الـتي حاولنـا جهـدنا وبمسـاعدة الأسـتاذ المشـرف، أن تكـون بحثـاً يرقـى إلى مسـتوى البحـوث الأكاديميـة الهادفـة. ومـا نسـيناه مـن مضـامين في البحـث فهـو مـن الشـيطان، ومـا أخطـأنا في تصـويبه وتقـديره فهـو مـن أنفسنا، وما أصبناه من توفيق وفلاح فهو من عند الله.

نسأل الله التوفيق والسداد.

حمامي أيوب.
2021.09.13 م
1443.02.05 هـ

المـدخـــــل.

إنّ أولى الفنـون الـتي عُرفـت بهـا العـرب قـديماً نظـم الشـعر والخطابـة، وهـي مـن أكثـر الفنـون الـتي جسـدت قـريحتهم لمـا فيهـا مـن كلمـات تتولـد بأسـلوب فريـد خـاص بكاتبهـا عنـدما يقـوم بإخـراج كلمـات ذات معـنى وقيمـة تشـعر بأنّهـا تخـرج مِـن قلـب الشـاعر، والشـعر موجـود منـذ أقـدم العصـور، وقـد اشـتهرت العـرب بالفصـاحة وملكـة الكـلام، والـدليل علـى ذلـك أنّ الله تعـالى قَـد أنـزلَ القـرآن الكـريم باللغـة العربيّـة ليتحـدّى بـه أهـل قـريش الـذين اشـتهروا بالشـعر والفصـاحة، وكـان مَـن يكتـبَ الشـعر ويلقيـه قـديماً، سـيداً في قومـه يُمجّدونـه ويتفـاخرون بـه، لـذلك فـإنّ للشـعر العـربي أهميّـة كبـيرة يمكـن مـن خلالـه معرفـة البيئـة والثقافـة في زمـن الشـاعر، لأنّ الشـعر العـربي مـرّ بتطـورات عديـدة علـى مـر العصـور، ولعـلّ بدايتـه الأولى تنسـب للعصـر الجاهلي.

اشـتهر العـرب منـذُ القـدم بالشّـعر، وقـد عَـرّف ابـن منظـور الشـعر في معجـم لسـان العـرب بِـقوله: ((منظُـوم القـول غُلـب عليـه الـوزِن والقافيـة وإن كـان كـلّ علـمٍ شـعراً))[1]، ويعـرف الشّـعرُ في الوقـت الحـالي بِـ ((النظـام المـوزون، يتركّـب تركبـاً متعاضـداً، ويكـون مقفّـى ومـوزون، وإذا خـلا مـن هـذه القيـود لا يسـمّى شـعراً ولا قائلـه شـاعراً))،[2] وبالتّـالي هنـاك أربعـة شـروط للشعر هي: المعنى، والوزن، والقافية، والقَصد.

يُعـرف العصـر الجـاهلي بأنّـه العصـر الـذي سـبق ظهـور الـدين الإسـلامي بنحـو مائـة وثلاثـين عامـاً قبـل الهجـرة، كـان العـرب في هـذا العصـر يتميّـزون بالـذكاء الحـاد، وفصـاحة القـول، وسـرعة البديهـة، والفراسـة، وربّمـا لـذلك تميّـز هـذا العصـر عمـا سـواه بفنـون الشـعر المتعـددة، الـتي تنوعـت أغراضـها كالهجـاء، والمـدح، والفخـر، والـرثاء، والغـزل، والوصـف، والحكمة والموعظة، والاعتذار.

1- معجم لسان العرب، ابن منظور – محمد جمال الدين محمد بن مكرم، دار إحياء التراث، بيروت لبنان، مادة (شعر).

2- معجم المصباح المنير، أحمد بن محمد بن علي بن فيّومي المقرّي، مكتبة لبنان، بيروت لبنان، 1987، مادة (شعر).

لقـد كـان المـدح والهجـاء مـن أهـم الأغـراض الشـعريّة في العصـر الإسـلامي، حيـث كـان الهـدف منهمـا هـو مبايعـة الرسـول صـلى الله عليـه وسـلم، ونصـرة الـدين الإسـلامي ورفـع كلمـة التوحيـد، والتنكـير بأعـداء الإسـلام والمسـلمين وتجريـد المشـركين مـن جميـع مـا نُسـب للممـدوح مـن مكانـة رفيعـة عنـد الله، وأيضـاً إلحـاق الصّـفات الذميمـة بهـم كالغـدر، والجـبن، والخيانـة، وغيرهـا مـن الصـفات الـتي تُـذلّ المهجـو، سـواء أكـان شخصـاً مفـرداً أو قبيلـة، وهـذا علـى مـا يبـدو هـو سـبب تخـوّف العـرب في ذلـك العصـر مـن قصـائد الهجـاء الـتي تُلحـق بهـم العـار، بـل نجـد بأنّ الأمـر تعـدّى أكثـر مـن ذلـك، إذ إنّهـم كـانوا يـدفعون أمـوالاً طائلـة للشـعراء، ويغـدقون علـيهم بـوافر عطـاياهم والـنعم في سـبيل تنظـيم قصـائد مـدح بحقّهـم تحكـي محاسـنهم، أو اتقـاءً لشـرّهم. ويُعتـبر هـذا النـوع مـن الشـعر هـو مـا يمكـن أن يُعـبّر فيـه الشـاعر عـن سـخطه وغضـبه تجاه شخصٍ أو قبيلة معيّنة في ذلك الزّمان.[1]

كـان العـرب يعتنـون بشـعرهم أيمـا اعتنـاء، ويحرصـون أن يـذيع مـن خـلال روايتـه وتناقلـه وحفظـه، فمـا يكـاد الشـاعر يقـول قصـيدة حـتى تـذهب بهـا الركبـان في كـل اتجـاه، وتـذيع بـين النـاس، دون أن يبـذلوا جهـدا في إذاعتهـا، فالقصـيدة إذا ظهـرت لا يسـتطيع أحـد منـع انتشـارها، وقـد عـبر الشـاعر الجـاهلي **عمـيرة بـن جعيـل** الـذي هجـا قومـه ثم نـدم، في أبيـات شعرية بعد أن سار بها الرواة في كل مكان:

ندمت على شتم العشيرة بعدما*مضت واستتبت للرواة مذاهبه**

فأصبحت لا أستطيع دفعا لما مضى كما لا يرد الدر في الضرع حالبه.

وبالتـالي، كـان للشـعر عنـد العـرب مكانـة خاصـة، وللشـاعر كلمتـه في القبيلـة، فقـدموا لنـا شـعراً قـوياً في بنيتـه، دقيقـاً في صـوره، مـا جعلـه النقـاد يميـزوه عـن الشـعر اللاحـق، واعتـبروه تـراثاً زاخراً.

1-تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي، شوقي ضيف، الطبعة 11، دار المعارف، 1960، بتصرّف ص183-188.

ومما يدل على اهتمام العرب الشديد بالشعراء ومكانة الشعر الرفيعة عندهم، هو أنهم كانوا إذا نبغ في القبيلة شاعر أقاموا أيام من الأفراح وأتت القبائل المجاورة لتهنئتها وكأنهم في عرس احتفاء بنبوغ شاعر من أبنائهم. يذكر **القيرواني** في كتابه (العمدة) أن القبيلة العربية إذا نبغ فيها اسم شاعر محدّد فإنّ القبائل الأخرى تأتي لتهنّئها، فتُقام الولائم، وتجتمع النساء كما في الأعراس[1].

ومما يجب ذكره أن الشاعر الجاهلي يأخذ مكانة مميّزة تكسب الحب والحماية من البقيّة، فهو بمنزلة تفوق بقيّة الأفراد، وتكون وظيفته الأساسية أن يصبح لسان القبيلة، يدافع عنها، ويحميها، ويتغنّى بأمجادها وأنسابها، ويُخلّد جميل أعمالها، ويحمي شرفها، وبذلك يكون الشعر مرآة تنعكس عليها الصورة المثالية للجماعة القبلية.[2]فمن منزلة الشاعر العظيمة بين قبيلته تظهر لنا أهميّة الشعر، فهو بالنسبة لهم ديوان العلم، ومنتهى الحكمة، يأخذون به، ويوثّقون فيه، لما فيه من وقع وتأثير في نفوس القبائل الأخرى، لترتقي منزلة الشاعر من لسان القبيلة إلى حكيمها، فيرضون بما يرضى، ويحكمون بما يحكم، كالشاعر **عمر بن كلثوم، والنابغة، والحارث بن حلزة اليشكري.**[3]

-وقال **عمر بن الخطاب**: ((كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصح منه))، فالشعر عند العرب بلغ منزلة عظيمة، فهو المصور لآمالهم وآلامهم وله كبير الأثر في توجيه مشاعرهم وأهوائهم، فهو السجل الخالد الذي نقل لنا علوم العرب ومآثرهم، كما عرّفنا بأنساب العرب وتواريخهم وأيامهم ووقائعهم.

1- العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ابن رشيق القيرواني، تحقيق: محمد قرقزان، دار المعرفة، الطبعة الأولى، 1988، بتصرّف، ص 153.

2- تاريخ اللغة والآداب العربية، شارل بلا، تعريب رفيق بن وناس وجماعته، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، بيروت، 1997، بتصرّف ص 87.

3- غواية التراث، جابر عصفور، كتاب مجلة العربي، وزارة الإعلام، الكويت، الطبعة الأولى، أكتوبر2005، بتصرّف، ص 114.

ومـا تولـد هـذا الاهتمـام بالشـعر في نفوسـهم إلا بعـد أن أحـاطوا بـدوره ومكانتـه في حياتهم، فـرُب بيت من الشعر يقوله شاعر يرفع به قدر وضيع أو يضع به قدر شريف، فكم بنا الشعر لأقوام بيوتا شامخة وكم هدم لآخرين أبنية رفيعة، وكم رفع الإبداع الشعري من قدر قوم كانوا أذلة وضيعين، وأذل أقواما كانوا أعزة من كبار الأقوام، نذكر هنا أن أولاد **جعفر بن قريع بن كعب** الذين كانوا يلقبون ببني أنف الناقة، وكان هذا اللقب بمثابة سبة عليهم يخجلون به، إلى أن جاء **الحطيئة** وقال فيهم أبياتا يمدحهم بقوله:

قوم هم الأنف والأذناب غيرهم*ومن يسوي بأنف الناقة الذنبا**

صار اسمهم شرفا لهم وصاروا بعد ذلك يزهون به بعد أن كان سبب استحياء[1].

وإذا كان هذا أثر الشعر في فعل الخير، فلعل أثره في فعل الشر والدعوة إليه أشد وأبلغ، فرُب قافية أثارت معركة يتوارثها الأبناء عن آبائهم، أو تورث سبة لا يمحوها الدهر.

فـ**بنو عبد المدان**، الذين كانوا في العلياء، جعلتهم أبيات من شعر حسان ينزلون من عليائهم ويتوارون من سوء ما وصمهم به شعره، حيث عرف عن بني عبد المدان ضخامة أجسادهم، فسعة الصدور وطول القوام وغلظها كان مفخرة لهم على غيرهم، إلى أن جاء **حسان بن ثابت** ليقول فيهم:

((حار بن كعب ألا الأحلام تزجركم*عنا وأنتم من الجوف الجماخير**

لا بأس بالقوم من طول ومن عظم*جسم البغال وأحلام العصافير))**.[2]

فأصبحوا سخرية الناس وفسد ما كانوا يتفاخرون به على غيرهم، إلى أن اهتدوا إلى **حسان** يسترضونه، ويدفعون له أغلى ما لديهم ليصلح ما أفسد عليهم، فعاد وقال فيهم يمدحهم:

وقد كنا نقول إذا رأينا لذي جسم يعد وذي بيان

كأنك أيها المعطى بيانا وجسما من بني عبد المدان

1- زهر الأدب وثمر الألباب، الحصري القيرواني، تحقيق: علي محمد البجاوي، ج 1، بتصرف، ص19.

2- ديوان حسان بن ثابت الأنصاري، تحقيق: عبدأ علي مهنا، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط 2، 1994، ص 129.

فعـادوا إلى سـيرتهم الأولى. والأمثلـة كثـيرة في تأثـير الشـعر في فعـل الخـير والشـر علـى حـد سواء.

عمـد بعـض الشـعراء الجـاهليين إلى الاهتمـام بكلامهـم كـل الاهتمـام مـن خـلال تحكيـك أشـعارهم، يكتبـون ويحـذفون ويضـيفون ويبحثـون عـن كـل مـا يضـفي الجماليـة والرونـق لقصـائدهم، فكـانوا يعملـون علـى القصـيدة الواحـدة سـنة كاملـة ينقحونهـا ويهـذبون فيهـا، ويحسـنون ويقومـون الاعوجـاج منهـا حـتى إذا دار عليهـا الحـول عرضـوها علـى النـاس في صـورتها المثاليـة، فسـميت هـذه القصـائد بالحوليـات حيـث اشـتهر كـل مـن **زهـير بـن أبي سـلمى** و**الحطيئـة** وغيرهمـا مـن عبيـد الشـعر، بالخـوض في شـعر الحوليـات لمـدى الاهتمـام الـذي أولـوه لقصائدهم قبل أن يعرضوه على العامة.

وعلـى الـرغم مـن حـرص العـرب علـى روايـة الشـعر وحفظـه، فقـد كـان هنـاك مـن الـرواة مـن يتزيـد في الأشـعار، لغايـة في نفسـه، غـير أن هـذا لا يصـح أن ينسـحب علـى مجمـل مـا وصـلنا مـن الشـعر، فالانتحـال قضـية قديمـة لم يكـن أول مـن قـال بهـا طـه حسـين، وإنمـا سـبقه إليهـا بقـرون **ابـن سـلام الجمحـي** الـذي عـزا أسـباب الانتحـال إلى عـاملين أساسـيين همـا: العصبية القبلية والرواة الواضعين.

كمـا أثـيرت قضـية الانتحـال مـن المستشـرقين في العصـر الحـديث، فكـان مـنهم المعتـدل المنصـف، والمحتـد المسـرف المتحامـل، حـتى جـاء طـه حسـين فأخـذ بظـاهر كـلام بعـض المستشرقين المسرفين، وأودعها كتابه " في الشعر الجاهلي ".

لكـن هـذه القضـية تعـد محسـومة الآن، لأن كـل الدراسـات الحديثـة اسـتقرت علـى تأصـيل الشـعر الجـاهلي ونفـي الموضـوع عنـه، وهـذا مـا يجـب أن يكـون، وقـد يكـون مـن المهـم أن نـذكر أن **طـه حسـين** بـدا متراجعـا عمـا كـان قـد طرحـه في كتابـه "المثير"، وبخاصـة ضـمن أحاديثـه في "يوم الأربعاء" وغيرها.

وتختلـف أهميـة الشّـعر العـربي باخـتلاف العصـور الـتي ظهـر فيهـا، ففـي عصـرِ النُبـوّة وظُهـورِ الإسـلام كـان الشّـعر وسـيلة مـن وسـائل الـدفاع عـن رسـالة الإسـلام ضـدّ المشـرِكين، وفي عهـد بـني أميّـة والعباسـيين كـان الشّـعر عبـارة عـن وسـيلَة مـن وسـائل التفرِقـة السياسـيّة والفكريّـة والتنازعيّـة والـدفاعِ عَـن مبادئهـا في مواجهـة خصـومها. في الوقـت الحـالي هنـاك تأثـير بارِز للشّـعر في الحيـاة الأدبيّـة والفكريّـة والسياسـيّة، والشّـعر العـربي يتطـوّر بتطـوّرِ الشـعوب العربيّـة والإسـلاميّة وبحسـب علاقاتهـا مَـع الشّـعوب الأخـرى، بحيـث ظهـرت فنـون جديـدة في الشّـعر تختلـف مـن ناحيـة المضـمون، الأسـلوب واللغـة، والأوزان والقـوافي وظهـر منهـا جوانـب كثـيرة مثـل الشّـعر: الوصـف، والأطـلال، والغـزل العـذري، والسياسـة، والصـوفية، والاجتمـاعي الوطني، والموشحات، والمعاصر، وغيرها.[1]

إذا أمعنّـا النظـر في تاريـخ الأدب عامـة والشـعر خاصـة، نجـد أن هنـاك أهميّـة كبـيرة للشـعر باخـتلاف الوقـت والمكـان، إلا أنّهـا تتشـابه علـى مـرّ العصـور في أمـور عـدّة، أهمّهـا: الـدفاع عـن القبيلـة وهـو مـن أبـرز وظـائف الشـعر العـربي، لأن الشـاعر الجـاهلي بقصـائده كـان يحمـي قبيلتـه، ويحمـل سمعتهـا في أبياتـه، الـذي يظهـر محاسـنها ويهجـو أعـداءها، ويـدافع عـن سياسـتها ويُمجّـدها. وقـد صـوّر **أبـو عمـرو بـن العـلاء** حاجـة العـرب الكبـيرة إلى الشـعر قـائلاً: ((الـذي يُقيّـد علـيهم مـآثرهم، ويُفخّـم شـأنهم، ويُهـوّل علـى عـدوّهم ومـن غـزاهم، ويُهيـب مـن فرسـانهم، ويُخوّف من كثرة عددهم، ويهابهم شاعر غيرهم، فيراقب غيرهم)).[2]

والواقـع أن الشـاعر الجـاهلي شـخص لـه منزلتـه الـتي تفـوق منزلـة البشـر عمومـاً، أو يمكننـا القـول إنّـه نـبّي قبيلتـه وزعيمهـا في السّـلم، وبطلهـا في الحـرب، إذ إنّ وظيفتـه الأساسـية والطبيعيـة أن يكـون لسـان عشـيرته، يحمـي عِـرض قبيلتـه، ويُخلّـد بلادهـم، ويُشـارك في المعـارك راميـاً العـدو بسـهام شـعريّة لهـا تأثيرهـا الخـاص، يتغـنّى بأمجادهـا، وأيّامهـا، ويحمـي شـرف الـدم والعـرق، فهـو

1- نظرية الشعر في النقد العربي القديم، د. عبد الفتاح عثمان، مكتبة الشباب – ميتشيغان، 1981، بتصرّف، ص18.

2- البيان والتبيين، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الرابعة، بتصرّف، ص 76.

مـرآة تـنعكس عليهـا الصّـورة المثاليّـة للقبيلـة. ولمـا جـاء الإسـلام انطفـأت نار العصـبيّة القبليّـة، فانتقلت من حماية القبيلة إلى حماية الدين، فاستخدم الشاعر مواهبه لحماية دينه ومبادئه.[1]

نـرى أنـه مـن الوظـائف المشـهورة الهامـة للشـعر هـو حمايـة القبيلـة، والـدفاع عنهـا، وإظهـار شـرفها. وهـذا الشـعر نفسـه مصـدرٌ للمعرفـة، والفكـر، والحكمـة. حـتى أن النقـاد العـرب اسـتخدموا عبـارة "الشـعر ديـوان العـرب"؛ حيـث عُـرف لفـظ الـديوان عنـدهم بدلالتـه المشـتركة بـين التحليـل والتسـجيل، وذلـك لـدرايتهم الشـديدة بالقيمـة المعرفيـة للشـعر العـربي منـذ وقـت مبكـر جـداً كمـا أنـه مصـدرٌ أساسـيٌّ لفهـم الـتراث الـديني الـذي يضـمّ القـرآن الكـريم والحـديث النبـوي الشـريف، فنجـد **ابـن عبّـاس** مـثلا يهـتّم اهتمامـاً بالغـاً بالشـعر، ويسـتمع إلى كـلام الشـعراء بكـل جَديّـة، ومضـى كثـير مـن النقـاد العـرب علـى آثاره يؤكّـدون هـذه الوظيفـة التعليميـة للشـعر. فقـد صـرّح **أبـو زيـد القرشـي** في مقدمـة (الجمهـرة) أنّ مـن وظـائف الشـعر العـربي اتّخـاذ بعـض الشـواهد منـه علـى معـاني القـرآن والحـديث، وعليـه، فـإنّ الشـعر شـاهد وذريعـة إلى فهـم الـدين والسّـنة.. ومـن الوظـائف الهامـة للشـعر تهـذيب النفـوس وتربيتهـا، إذ كـان الشـاعر يُـربّي قومـه علـى الفضـيلة، والأخـلاق الحميـدة، ويزجـرهم في الوقـت نفسـه عـن الأفعـال الدنيئـة؛ فيُقـبح البخـل ويُشـجّع علـى السـخاء، ويُسـفّه الجـبن ويشـدو بالجـود وهـو أفضـل وسـيلة لحفـظ اللغـة، وتفصـيح اللسـان، حـين أشـار النقـاد القـدامى بوضـوح إلى دور الشـعر في حفـظ اللغـة وإثرائهـا، إذ إنّ الشّـعر وعـاء اللغـة ومسـتودعها، ولـذا فهـو مـادة أساسـية في تعلـيم اللغـة، وتنميـة الملَكة البلاغية، وتفصيح اللسان.

((سـأل معاويـة رضـي الله عنـه الحـارث بـن نوفـل: (مـا علّمـت ابنـك؟)، قـال: (القـرآن والفـرائض) فقـال: "روّه فـن فصـيح الشـعر، فإنـه يُفـتّح المنطـق، ويطلـق اللسـان، ويـدل علـى المـروءة والشـجاعة")).[2] ومـن الشـعر تُتَّخَـذ الشّـواهد والأمثـال. فهـو لـيس فنّـاً للفـن ذاتـه، ولا

1- تاريخ اللغة والآداب العربية، شارل بلا، تعريب رفيق بن وناس وجماعته، بتصرّف، ص 86.

2- كتاب المصون، أبو أحمد العسكري، تحقيق عبد القيوم هارون، الكويت، 1960م، ص 137.

متعـة لمجـرّد المتعـة، هـو فـن مُمتـع ولذيـذ، ولكـن هـذه المتعـة تطـوي في ثناياهـا غـايات نفعيـة كثـيرة تستمر في تنمية النوازع الكريمة.

لم تســتمر هــذه المكانــة العظيمــة للشــاعر، إذ تغــيّرت بتغــيّر العلاقــات الاقتصــادية والاجتماعيـة، لا سـيّما بعـد نشـأة الطبقـات الثريّـة في المجتمـع القبلـي، فتحوّلـت العلاقـة بـين الشـعراء وسـادة القبائـل إلى علاقـة ربحيّـة، وامتـاز الشـعراء بالعطـايا الـوفيرة كلّمـا كانـت القصـيدة أجـود، وبـدأ الشـعر بتغيـير مسـاره مـن وظيفـة قبليّـة تهـدف إلى حمايـة العشـيرة والـدفاع عنهـا وذكـر خصـالها الحميـدة إلى صـنعة مـن خلالهـا يسـعى الشـاعر فيهـا وراء المـال والسـلطة والجـاه، مُتـنقّلاً بـين الـبلاد، وبـذلك، ظهـرت سـيمة التكسّـب، وسـاعد في ذلـك التنـافس الكبـير بـين شـيوخ القبائـل، والملـوك في توظيـف أكـبر الشـعراء وأفضـلهم لتأكيـد مصـالحهم والـدفاع عـن سمعتهم.[1]

كـان الشـعر قـديماً يُعـرف بالقصـيدة المكوّنـة مـن أبيـات، كـل بيـت فيهـا مُسـتَقِل عمّـا قبلـه وبعـده في التركيـب، وتتّصـل الأبيـات معـاً في المعـنى، يتـألف البيـت مـن شـطرين، يسـمى الأول صـدراً والثـاني عجـزاً، وتنتهـي أبيـات القصـيدة جميعهـا بحـرف واحـد يسـمى القافيـة، تمتـاز بموسـيقى محـدّدة تتحـدّد بالبحـر العروضـي المتّبـع. وقـد عـرف الشـعر الجـاهلي في هـذا العصـر بالشِّعر التقليدي أو الكلاسيكي.

عـبّر الشـعر الجـاهلي عـن أسـلوب الحيـاة العربيـة، وصـوّرها بِدقّـة عاليـة عكـس فيهـا أوجـه الحيـاة المتعـدّدة، فنجـد فيـه وصـف الخِيـام، والرحلـة والراحلـة، ووصـف الحيـوانات، ورحـلات الصـيد، والحـروب، كمـا نجـد المـدح، والغـزل، والهجـاء، الـرثاء. وقيـل إنّ أفضـل القصـائد الـتي كتبهـا العـرب هـي الـتي لقبـت بالمعلقـات السـبع وقيـل العشـر. بـدأت القصـيدة الجاهليـة بالمقدمـة الطلليـة الـتي يقـف فيهـا الشـاعر علـى الأطـلال، فيبكـي علـى الـديار الخاليـة، ويصـف الآثار الـتي

1-غواية التراث، جابر عصفور، كتاب مجلة العربي، وزارة الإعلام، الكويت، الطبعة الأولى، أكتوبر2005، بتصرّف، ص 115.

تركهـا أحبّـاؤه بعـد رحـيلهم، ثمّ يصـف الرحلـة والراحلـة، وعنـاء السـفر، ومعـالم الطريـق، ووحـوش الصـحراء وحيوانهـا وغيرهـا، لينتقـل بعـدها إلى الغـزل بـذكر محبوبتـه والتّغـني بجمالهـا ومحاسـن أخلاقهـا، وقـد يـذكر بعـض المغـامرات الـتي عاشـها معهـا قبـل رحيلهـا، وينتقـل إلى الموضـوع الـرئيس الـذي يريـد أن يتحـدّث عنـه، وقـد يكـون مـديحاً، أو فخـراً، أو حماسـةً، أو هجـاءً، أو تعصّـباً لقبيلتـه، أو غيرهـا. مـن أشـهر شـعراء العصـر الجـاهلي أصـحاب المعلّقـات، وهـم: **امـرؤ القـيس**، و**طرفـة بـن العبـد**، و**زهـير بـن أبي سـلمى**، و**لبيـد بـن ربيعـة**، و**عمـرو بـن كلثـوم**، و**عنترة بن شدّاد**، و**الحارث بن حلزة**، و**الأعشى**، و**النابغة الذبياني**، و**عبيد بن الأبرص**.[1]

بعـد بعـث الرسـالة وظهـور الرسـول محمـد صـلى الله عليـه وسـلم ارتـبط الشّـعر الإسـلامي بظهـور الـدّعوة الإسـلاميّة، وعليـه تجـد الشـعراء انظمـوا إلى الجهـاد بشـعرهم لنصـرة الـدين الجديـد، ومحاربـة أعـدائهم بالشـعر، والفخـر بالنـبي عليـه السـلام وهجـاء قـريش وتسـجيل الغـزوات. ومـن خـيرة هـؤلاء الشـعراء نـذكر **حسـان بـن ثابـت**، و**عبـد الله بـن رواحـة**، و**كعـب بـن مالـك**، و**كعـب بـن زهـير**. وعلـى المسـتوى اللغـويّ خـلاف الشـعر الجـاهلي، فإننـا نجـد اللغـة المسـتخدمة واضـحة وسـهلة وليّنـة، بعيـدة عـن الغرابـة والغمـوض والرمـوز المبهمـة، وتسـتند إلى أبعاد تاريخيّة دينية.[2]

وأثنـاء الاطـلاع علـى شـعر هـذا العصـر لاحظنـا أن اهتمـام العـرب بـه لم يـنقص شـيئاً عـن العصـر الجـاهلي، وإنمـا تم تهذيبـه مـن ناحيـة المضـمون، فاتخـذ منحـاً جديـداً وأصـبح الشـاعر المسلم يهتم بالمخبر قبل المظهر.

1- ينظر: تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي، د. شوقي ضيف، الطبعة الحادية عشرة، دار المعارف، ص183 -231.

2- ينظر: الأدب في موكب الحضارة الإسلامية- كتاب الشعر، د. مصطفى الشكعة، دار الكتاب اللبناني بيروت، ط1، 1973، ص:105.

مـع إطلالـة العهـد الإسـلامي وحـتى العهـد الأمـوي تغـير وجـه النقـد ويعـود السـبب إلى وجـود القـرآن والأحاديـث النبويـة والقـيم الجديـدة الـتي كانـت مهجـورة في العهـد الجـاهلي أو لم تكـن أصـلا. كمـا تركـت البيئـة الاجتماعيـة للعـرب بصـماتها علـى ثقـافتهم، وقـد أدت هـذه المسـألة إلى تحـول في آفـاق تفكـير العـرب والالتفـات نحـو مسـائل لم يكـن ثمـة مجـال للبحـث فيهـا؛ لـذلك فالناقـد العـربي لم يكتـف بالمسـائل العاديـة كمـا عليـه الحـال عنـد الناقـد في العصـر الجـاهلي بـل اهـتم بمـزايا القالـب والمعـنى. وقـد عـززت هـذه الحركـة وجـود مراكـز أدبيـة في مكـة ودمشـق. ومنـذ ذلـك الحـين انصـرف اهتمـام الناقـد إلى الموسـيقى والنغمـة في الـوزن والألفـاظ، إضـافة إلى المعـاني ومناسـبتها مـع الألفـاظ، وقـام النقـاد بتقسـيم شـعراء ذلـك العهـد إلى طبقـات وبينوا ميزة كل طبقة.

جـاء العصـر الأمـوي ليزدهـر الشـعر وتتسـع مواضـيعه، وتتطـوّر أسـاليبه، حيـث أصـبحت معانيـه وألفاظـه أكثـر رقّـة ولطافـة تماشـياً مـع حالـة العصـر الجديـد، والمظـاهر السياسـية، والدينيـة، والثقافيـة؛ فخـاض الشـعراء حـرب هـذه الأحـداث حـين ظهـرت الخلافـات السياسـيّة، والقَبَليـة، والمذهبيـة، وتحيّـز كـل شـاعر إلى جماعتـه يـدافع عنهـا وينشـر أفكارهـا ومفاهيمهـا، ويمكننـا القـول أن الشـعراء والأُدباء عامّـةً كـانوا يُمثّلـون الصـحافة المحليـة لتلـك العصـور العربيـة القديمـة. أمّـا بالنسـبة للموضـوعات الشـعرية فقـد كـان مـن الطبيعـي أن تتوسـع وتـزداد في هـذا العصـر، خاصّـةً بعـد الانكمـاش الـذي لحـق بهـا في عصـر صـدر الإسـلام الـذي ركّـز كـل اهتمامـه علـى الـدعوة الإسـلامية، فقـد نظـم شـعراء العصـر الأمـوي في مواضـيع كثـيرة منهـا مـا كانـت موجـودة مـن قبـل، فتوسّـعوا فيهـا وأكثـروا منهـا، ومنهـا مـا هـو جديـد ابتكـروه اسـتناداً علـى ظـروف الحيـاة ومتطلباتهـا، ومنهـا مـا كـان لـه أثـر مـن الجاهليـة والإسـلام، فأضـافوا عليهـا وعـدّلوا قواعـدها حـتى جعلوهـا غرضـاً مُسـتقلاً بحـدّ بذاتـه، كـالفخر، والمـدح، والهجـاء، والوصـف، والغـزل، والخمـريّات، والنقـائض. مـن أهـم شـعراء العصـر الأمـوي نـذكر **الأخطـل**، و**الفـرزدق**،

و**جريـر** الـذين واشـتهروا بشـعر النقـائض، و**بشـار بـن بـرد**، و**المُقنّـع الكنـدي**، وشـعراء الغـزل العذري ك**جميل بثينة**، **وقيس ليلى**، و**مجنون لبنى**، وغيرهم الكثيرين.[1]

بعـدها طُـورت الأسـاليب الشـعرية في العصـر العباسـي بسـبب اطّـلاع الشـعراء علـى الثّقافـات الأجنبيـة الـتي وسّـعت مـداركهم، وزادت مـن معلومـاتهم، إلى جانـب تطّـور الحيـاة الحضـارية. فنجـد أن الشـعراء قـد مـالوا إلى الأسـاليب السـهلة والمفهومـة المنسـوجة مـن واقـع الحيـاة، وابتعـدوا عـن الألفـاظ الصـعبة الـتي قـلّ اسـتعمالها أو هجـرت، واعتمـدوا علـى المحسّـنات البديعيـة، والتجديـد في الألفـاظ تبعـاً لتطّـور الأمـور، حـتى وصـلت الحـال عنـد مجموعـة مـن الشعراء إلى استخدام ألفاظ غير عربية في الشعر.

لقـد نظـم شـعراء الدولـة العباسـية الأسـاليب الشـعرية في ضـوء حضـارة الدولـة وثقافتهـا، وطريقـة تـذوقها للفنـون، لـذا جـاء الأسـلوب الشـعري أقـرب مـن يكـون إلى الرقّـة في النسـج، والدقـة في التّصـوير، وشـاعت في الحواشـي ألـوان مـن الزخرفـة اللفظيّـة، والصـنعة اللغويـة، إضـافة إلى النغمـة الموسـيقية الـتي تحـرّك المشـاعر والوجـدان. فـنلاحظ أن الشـعراء كلّمـا كـانوا أكثـر تحضـراً مـالوا إلى الزينـة واللطافـة في كـل شـيء، فالطّـابع الحضـري تغشـاه الأناقـة، وهـو مـا يـدلّ علـى التطـور في الأذواق، والرّقـي في الأفكـار، ورقيهـا وهـو السـبب الـذي دفـع الشـعر وبالشـاعر إلى إيجاد أسلوب جديد تركن فيه النفس لتستريح عند جماله وتناسقه ورقّته.

مـن أهـم شـعراء العصـر العباسـي نـذكر **المتنـبي**، و**الأصـمعي**، و**أبا فـراس الحمـداني**، و**أبا العلاء المعرّي**، و**أبا نواس**، و**ابن الرومي**، و**ابن الفارض**، و**أبا العتاهية**، وغيرهم الكثير.[2]

1- الموجز في الشعر العربي، دراسة في العصور المختلفة للشعر العربي، فالح الحجية، مراجعة وتقديم شوقي ضيف، منشورات مطبعة أوفيست الميناء، 1985، بتصرّف، ص113-182.

2- انظر: مقالة العصر العباسي، جامعة أم القرى.

لاحقا ظهر الشعر الأندلسي في ظروف جديدة لا مثيل لها في المشرق العربي، ظروف اتّصلت بالطبيعة الأندلسية وتنوُّعها، وأخرى اتّصلت بالتّكوين الثقافي السّكاني، إذ نرى العرب يختلطون لأول مرة مع الأجناس اللاتينيَة، والبربريَة، إضافة إلى اليهود على أرض واحدة، وتتعايش كل هذه الأجناس تضمّ الأديان السماوية الثلاثة: الإسلام، واليهودية، والمسيحيَة. وتُستخدم اللغة العربية إلى جانب الأمازيغية، والإسبانية، والكتلانية، فنشأ من التعايش بين هذه الأديان والأجناس والثقافات واللغات جوٌّ خاص وحضارة فذَّة رائعة.[1]

اِنساق الأندلسيون وراء أهل المشرق في أغراض الشعر التقليدية، كما في الوصف، ورثاء الممالك، والشكوى، والاستنجاد، وقد أكثروا من الوصف حتى أننا نستطيع أن نستخلص من شعرهم صورة واضحة للحياة الأندلسية في شتّى نواحيها، فوصفوا الأندلس بما فيها من مدن، ومتنزّهات، وعجائب العمارة، والأودية، والجبال، والبساتين، والرياض، والأزهار، والثمار، والبحيرات، والسواقي. كما وصفوا الولائم الملكية، والأطعمة، والزينة، والعطور، والملابس، والموسيقى، إضافة إلى اللهو والمجون. وهكذا نجد التنوّع والتجديد في فن الوصف. وإذا أردنا التحدّث عن اللغة الأندلسية فإنّنا نجدها سهلة، سلسة، غير محكمة البناء كلغة المشرق، وذلك يعود إلى بعد الأندلس عن البادية ولغتها القاسية، واختلاط العرب في بيئة أعجمية تمتلئ باللهجات واللغات الأخرى التي أضعفت ملكتهم ورَقَّقَت تعابيرهم.

ومع كل هذه العوامل في تلطيف اللغة الأندلسية فإنّنا نجد بعض الصعوبة في شعر ابن هانئ، مثلاً، الذي عمد إلى تقليد المتنبي، فانصرف في شعره إلى اختيار الغريب والخشونة والتعقيد. أما بالحديث عن الأوزان الشعرية، فقد تبع فيها الأندلسيون أهل المشرق، إلا أنّهم عمدوا في الغالب إلى الموسيقى، فزادوا أوزانا جديدة ساعدت على إضافة

1- الأدب الأندلسي: موضوعاته وفنونه، مصطفى الشكعة، م س، بتصرّف ص 80 - 81.

اللحـن الموسـيقي في الشـعر، الـذي تحـوّل فيمـا بعـد إلى شـعر خـاص بالغنـاء عُـرف باسـم الموشحات.

مـن أشـهر الشـعراء والوشـاحين: **أبا البقـاء الرنـدي**، و**ابـن حمـديس**، و**لسـان الـدين الخطيـب**، و**ولّادة بنـت المسـتكفي**، و**عبـادة بـن مـاء السـماء**، و**ابـن خفاجـة**، و**المعتمـد بـن عبّاد**، وغيرهم الكثير.[1]

خـلال المرحلـة الأولى الـتي امتـدت مـن العصـر الجـاهلي حـتى أواخـر القـرن الثـاني الهجـري- كـان استحسـان الشـعر أو التنفـير منـه قاعـدة توجـه الناقـد حـين ينقـد الشـعر ويـدلي برأيـه بقصـيدة مـا. هـذه القاعـدة النقديـة لهـا طابعهـا وسمتهـا العامـة، فهـي تتسـم بالعفويـة وتعميم الأحكـام النقديـة وبارتجـال هـذه الأحكـام، كمـا اتسـمت بالبعـد عـن دراسـة القصـيدة وتحليلهـا وتعليـل الأحكـام ونادرا مـا يتحـدث الناقـد عـن أسـباب موجهـة جعلتـه يـرفض القصـيدة أو يرشـحها، والإيجـاز في الشـديد في الوصـف والحكـم عليهـا والاكتفـاء باللمحـة المقتضـبة السـريعة على الاستحسان أو الاستهجان.

مـن الآراء النقديـة في العصـر الجـاهلي نقـد **أم جنـدب الطاقيـة** لـ: **امـرئ القـيس** و**علقمـة الفحـل** حيـث يـروي **ابـن قتيبـة** في كتابـه الشـعر والشـعراء ((إن علقمـة احـتكم مـع امـرئ القـيس إلى زوجتـه أم جنـدب فقالـت: «قـولا شـعرا تصـفان فيـه الخيـل علـى روي واحـد قافية واحدة فقال امرؤ القيس:

خليليّ مرّا بي على أم جندب*لنقضي حاجات الفؤاد المعذب.**

وقال علقمة:

ذهبت من الهجران في كل مذهب*ولم يكن حقا كل هذا التجنب.**

حكمت لعلقمة وقالت لأنك قلت:

1- انظر: مقالة الشعر الأندلسي مميزاته وخصائصه، حمد السروتي، وإكرام زعلوقي،alukah.net .

فللسوط ألهوب وللساق درة*وللزجر منه وقع اخرج مذهب.**

فأجهدت فرسك بسوطك، ومريته بساقك.

وفي المقابل قال علقمة:

فأدركهن ثانيا من عنانه*يمر كمر الرائح المتحلب.**

فأدرك طريدته وهو ثان من عنان فرسه، يضربه بسوطه، ولم يمرره بساقه ولم يزجره.))[1]

وفي نقـد الفطـرة أيضـا حـين ذكـر ابـن قتيبـة أن الشـاعر طرفـة بـن العبـد كـان قـد نقـد المتلمس بقوله "استنوق الجمل" عندما سمعه يقول:

((وقد أتناسى الهم عند احتضاره*بناج عليه الصيعرية مكدم.**

حيث أن الصيعرية هي سمة للنوق لا للفحول))[2].

وأمـا **النابغـة الـذبياني** وهـو كبـير الشـعراء الجـاهليين، الخنذيـذ الـذي كـان يحكـم في سـوق عكـاظ لم يسـلم هـو نفسـه مـن نقـد النـاس لشـعره. فقـد اتسـم شـعره بالإقـواء* وقـد عيـب عليـه ذلـك، وقـد جعلـوه يـدرك ذلـك فصـححه. ((قـال: دخلـت يثـرب وفي شـعري شـيء وخرجـت وأنا أشـعر النـاس. ...لكنـه لم يـتخلص مـن ذلـك بشـكل دقيـق حيـث ظهـر إقـواءه في أبيـات كثـيرة لاحقـة، حـتى قـال النقـاد القـدامى فيـه: لم يقـو أحـد مـن الطبقـة الأولى ولا مـن أشـباههم إلا النابغة)).[3]

---

1 – النقد الأدبي عند العرب واليونان، قصي الحسين، المؤسسة الحديثة للكتاب، للبنان، ص 13.

* الإقواء هو اختلاف حركة الروي.

2– المصدر نفسه، 112/1.

3 – النقد الأدبي عند العرب واليونان، قصي الحسين، ص 15.

كـان **النابغـة الـذبياني** أحـد المحكمـين في سـوق الشـعر يقـوم مقـام القاضـي بسـوق عكـاظ فيأتيـه الشـعراء ويعرضـون عليـه أشـعارهم فمـن حكـم لـه طـارت شـهرته في الآفـاق، ((ويقـال إنـه فضـل الأعشـى علـى حسـان بـن ثابـت وفضـل الخنسـاء علـى بنـات جنسـها وفضـل شـعرها علـى شـعر حسـان ثـوره حسـان عليـه والله لا أنا أشـعر منـك ومـن أبيـك ومـن جـدك فقـال لـه النابغـة حيث تقول ماذا؟ قال حيث أقول:

لنا الجفنات الغر يلمعن بالضحى * وأسيافنا يقطرن من نجده دما**

ولدنا بني العنقاء وابني محرق * فأكرم بنا خالا وأكرم بنا إبنما.))**[1]

فـرد عليـه **النابغـة**: ((إنـك لشـاعر لـولا أنـك قللـت عـدد جفانـك ولـو قلـت الجفـان لكـان أكثـر... وقلـت يلمعـن في الضـحى ولـو قلـت يـبرقن بالـدجى كـان أبلـغ في المـديح لأن الضـيف بالليـل أكثـر طروقـاً وقلـت يقطـرن مـن نجـدة دمـا فـدللت علـى قلـه القتـل ولـو قلـت يجـرين لكـان أكثـر، لانصـباب الـدم وفخـرت بمـن ولـدت ولم تفخـر بمـن ولـدك، فقـام حسـان منكسـراً منقطعاً.))[2]

نـرى أن النقـد القـديم المـأثور **للنابغـة** وغـيره والملاحظـات الـتي تجمـع بـين النظريـة التركيبيـة والتعمـيم والتعبـير عـن الانطبـاع الكلـي إلا فيمـا نـدر للتعليـل السـطحي، حيـث كـان الشـعراء يراجع بعضهم بعضا.

حيـث أن أول الصـور في النقـد الجـاهلي هـي محـاولات أوليـة اسـتدعتها مناسـبات الشـعر والأسـواق "وكـان الحكـام الناقـدون يبثـون آرائهـم علـى مـا تلهمهـم طبـائعهم الأدبيـة وسـليقتهم

1- المصدر السابق، ص 15 و16.

2- الأغاني، الأصفهاني، 340/9.

العربيـة وأذواقهـم الشـاعرة"[1] وأحكـام ذاتيـة محضـة بـوحي أذواقهـم الشخصـية دون اسـتناد إلى أصول مقررة أو قواعد مرعية استحسان أو استهجان بين وجوه النقد ولا العلل.

كـان النقـاد الجـاهليون يعتمـدون علـى ذوقهـم الفـني المحـض ولـيس علـى التحليـل والتعليـل والاسـتنباط بسـبب اسـتغراقهم في الحيـاة الجاهليـة البدائيـة فكـان نقـداً تأثـرياً وانطباعيـاً، ((ولم يكـن قـد أصـبح نقـداً منهجيـاً قائمـاً علـى المـوازين والمقـاييس الـتي تفرضـها قواعـد المـنهج النقـدي مهما كان بسيطاً))[2].

هنالـك مـن البـاحثين والنقـاد مـن يعتـبر أن قصـة **النابغـة** مـع **حسـان بـن ثابـت** وضـعها اللغويـون في القـرن الرابـع الهجـري تاريـخ وضـع كتـاب الأغـاني الـذي وردت فيـه لكـن ((جمـع التصـحيح وجمـع التكسـير وجمـوع الكثـرة وجمـوع القلـة،))[3] هـو في الحقيقـة راجـع "إلى لغـة العلمـاء في ذلـك العصـر أمـا مسـألة التفريـق بـين العـدد الـذي يـدل علـى كثـرة، والعـدد الـذي يـدل علـى قلـة، فهـي تعـود إلى فصـاحة القـوم وحسـن انـدماجهم في لغـتهم العربيـة بأصـالة وسليقة"، لم يعرفها غيرهم إلا ندرة من الأقوام.

تبريـر النابغـة لتقـديم الخنسـاء علـى حسـان لا يشـير إلى تقـدم منهجـي في نقـده أو مقـاييس نقديـة لديـه، وإنمـا يشـير إلى السـجية النقديـة عنـده، ((وهـو بالتـالي تحليـل عفـوي وبسـيط ينسـجم كـل الانسـجام مـع إحسـاس النابغـة العفـوي بالـنقض خصوصـاً إذا مـا علمنـا عنه أنه كان يتربع على عرش النثر كما كان يتربع على عرش الشعر.))[4]

1- في النقد الأدبي عند العرب، محمد طاهر درويش، ص 68.
2- النقد الأدبي عند العرب واليونان، قصي الحسين، ص 30.
3- تاريخ النقد الأدبي عند العرب، طه إبراهيم، ص 30.
4- النقد الأدبي عند العرب واليونان، قصي الحسين، ص 31.

وصـل الإبـداع الشـعري في العصـر الجـاهلي أوجـه، ليبلـغ مكانـه رفيعـة في البـديع والـنظم الشـعري حـتى أنهـم لقبـوا بعبـاقرة الشـعر نسـبة إلى وادي عبقـر، وادي الجـن الـذي كـان يقصـده معظـم الشـعراء الجـاهليين التماسـاً للعبقريـة الشـعرية والإلهـام والسـليقة، وقـد لجـأ العـرب كغـيرهم مـن الأمـم إلى الإلهـام الجـني لتفسـير إبـداعهم الشـعري الفريـد، فعـرف في الجاهليـة مـا أسمـوه بشـياطين الشـعراء. لقـد اسـتند البـاحثون اللغويـون المؤيـدون لهـذه النظريـة إلى اعترافـات مـن الشـعراء الجـاهليين أنفسـهم بأن هنالـك شـياطين ملهمـه تلقـنهم الشـعر حـين ذكـروا أسمائهـا وأماكنها وقبائلها في أبيات شعرية من قصائدهم.

الفصل الأول:

فكرة البديع في الثقافة العربية الشفوية القديمة.

- **المبحث الأول:**

البديع والذوق الفطري الجاهلي.

- **المبحث الثاني:**

البديع والقيم الدينية في المجتمع الإسلامي الجديد.

- **المبحث الثالث:**

البديع والذوق الجمالي في ظل تطور مظاهر الحياة الاجتماعية.

فكرة البديع في الثقافة العربية الشفوية القديمة:

عند ذكرنا لفكرة الثقافة الشفوية تحضرنا العصور الثلاثة: الجاهلي والإسلامي والأموي، حيث كان البديع محط اهتمام على مستوى الإبداع من قبل الشعراء وعلى مستوى النقد من قبل المتلقين العاديين والشعراء في العصر الجاهلي، والشعراء والخلفاء والصحابة والرسول صلى الله عليه وسلم أيضاً في العصر الإسلامي، وفي العصر الأموي من قبل كل الخلفاء والأمراء الذين كانوا نقاداً بامتياز نساءً ورجالاً.

المبحث الأول: البديع والذوق الفطري الجاهلي.

كان الشعر من أبرز فنون القول عند العرب، وأكثر صنعة أجادها العربي وأبدع فيها. حتى قيل ((أن العرب لم يكن لهم صناعة، أو فن غير هذا الشعر.))[1] فجسد فيها حنكته وأسلوب عيشه وصور نفسه ومحيطه، فالشعر ديوان العرب القديمة وهو ((الصورة الواضحة لتلك البادية العربية، يترسم فيها ذلك البساط الممدود من الرمال في الصحراء مضارب خيامهم، وملاعب ولدانهم، وأسماء منازلهم، وموارد مياههم، وأحاديث ساداتهم، ومنجبات نسائهم، وعتاق خيولهم، وأوصاف سيوفهم وآلاتهم، وكثيرا من أيامهم ووقائعهم وعاداتهم وأخلاقهم،))[2] ما مكن الباحث والمؤرخ من التعرف على مواصفات العصر الجاهلي من خلال شعر أبنائه.

فالشاعر العربي قدم صورة عن نفسه وواقعه حتى ((قيل أن الشعر، كان علم قوم لم يكن لهم علم أصح منه، فجاء الإسلام، فتشاغلت عنه العرب، تشاغلوا بالجهاد وغزو فارس والروم، ولهت عن الشعر وروايته،))[3] فلما جاء الإسلام والفتوح تناقل العرب ما تذكروا من الشعر من دون حفظ في المخطوط أو تدوين في كتاب فحفظوا أقله، وذهب أكثره أدراج النسيان والتغافل. ((ما انتهى إليكم مما قالت العرب إلا اقله، ولو جاءكم وافرا، لجاءكم علم وشعر كثير.))[4]

أصبح الشعر مظهرا من مظاهر حيوية العرب، ونشاطهم الفني في حياتهم البدوية، بحيث نظم على بحور ذوات أنغام مؤتلفة، وقوافي متحدة في قصيدة واحدة، وفي نظام تعددت فيه الأغراض، ((لم يبدأ حياته على هذا النظام الكامل الذي وجدناه عليه، وإنما

1-البلاغة والنقد، المصطلح والنشأة والتجديد، محمد كريم كواز، دار الانتشار العربي. ص 122.
2-المرجع نفسه، ص122.
3-المرجع نفسه، ص 123.
4-طبقات فحول الشعراء، أبو سلام الجمحي، ص17.

بدأ (حداءً) للإبل، سلوى للنفس في شق المفازات، في عبارات منغومة، ثم في (رجز) متحد الوزن، تجري حركاته وسكناته مع أقدام الإبل في خطوها))[1] ولما استحسن القائل والسامع هذا الكلام والطرب له، راح يطيل الأراجيز ويتفنن في الأوزان التي عرض من خلالها ((أفكاره وتجاربه، وبث فيها عواطفه، وذكر فيها آماله وأشجانه، ووصف فيها مراتع لهوه، ومرابع صباه، وخفقات قلبه، فبكى الأطلال والمدن، وفخر بالآباء، وأشاد بصنائعهم وبأمجادهم، وذم الأعداء، وكاد لهم بشعره، كما شهر عليهم سيفه ورمحه، وتغزل فيمن أحب، ورثى من مات))[2] فالعربي الخشن لين الإحساس، فصيح اللسان الحافظ والسليق عبَّر بكلامه الموزون عن الضراء والسراء في حياته.

قطع الشعر العربي الجاهلي أحقاباً ليصل إلينا اليوم -عبر مراحل الرواية والحفظ والتدوين-، ((قال ابن قتيبة: لم يكن لأوائل الشعراء إلا الأبيات القليلة، يقولها الرجل عند حدوث الحاجة، فمن قديم الشعر قول دويد بن نهد القضاعي:

اليوم يُبنى لدويدٍ بيتُه*لو كان للدهر بِلى أبليتُه**

أو كان قرني واحداً كفيتُه*يا رُبَّ نهبٍ صالحٍ حويتُه**

ورُبَّ عبْلٍ خشِنٍ لويتُه

وقال آخر:

ألقى عليَّ الدهرُ رجلاً ويدا*والدهر ما أصلح يوماً أفسدا**

يُصلحه اليومَ ويُفسده غدا

1-المرجع السابق، الصفحة نفسها.

2-المرجع السابق، الصفحة نفسها.

وقال أعصر **بن سعد بن قيس بن عيلان:**

قالت عميرةُ ما لرأسِك بعدما*نفدَ الزمانُ أتى بلونٍ مُنكرِ**

أعميرُ، إن أباك شيب رأسه*كرُّ الليالي واختلاف الأعصُرِ**

وقال **الحارث بن كعب**، وكان قديماً:

أكلت شبابي فأفنيته*وأفنيت بعد شهورٍ شهورا**

ثلاثة أهلينَ صحابتُهم*فبانوا وأصبحتُ شيخاً كبيرا**

قليلَ الطعامِ عسير القيا*مِ قد ترك القيدُ خطوي قصيرا**

أبيت أراعي نجوم السما*ء أقلب أمري بطوناً ظهورا.))**[1]

بلغ الشعر الغاية وحقق النضج وصار الشاعر يعرض فنه على الناس بعد أن كان يحتفظ به لنفسه ولأصحابه وعائلته. لكن الشعراء الأولون بعد أن تنبهوا لأخطائهم وصححوها، وبحثوا عن أسباب الكمال في شعرهم. فبعدما اكتملت للشعر العربي صورته الفنية، فتن العرب به وطربوا له، ((فرووه وتذوقوه، وتغنوا به، ونظروا فيه تلك النظرة التي تلتئم مع حياتهم وطبيعتهم، وبعدهم عن الحضارة. فأعلنوا استحسانهم لما استجادوا، واستهجانهم لما استقبحوا، في عبارات موجزة، وأحكام سريعة.))[2]

فمن نماذج النقد العربي القديم فيما قبل الإسلام، ما روي عن مجموعة شعراء هم **الزبرقان بن بدر**، و**عمرو بن الأهتم**، و**عبدة الطيب**، و**المخبل السعدي**، حين احتكموا إلى رجل في شعرهم، فكان رده بأن أدلى برأيه في شعر كل واحد منهم ((فقال لزبرقان: أما

1-الشعر والشعراء، ابن قتيبة، 48/1.

2-دراسات في نقد الأدب العربي، الطبانة، ص54.

أنت، فشعرك كلحم أسخن، لا هو أنضج فأكل، ولا ترك نياً فينتفع به، وأما أنت يا عمرو، فإن شعرك كبرود حبرٍ، يتلألأ فيها البصر، فكلما أعيد فيها النظر، نقص البصر. وأما أنت يا مخبل، فإن شعر قصر عن شعرهم، وارتفع عن شعر غيرهم، وأما أنت يا عبدة، فإن شعرك كمزدات أحكم خرزها، فليس تقطر ولا تمطر.))[1] فنجده وكأنه يحكم لكل منهم مستواه في الشعر ويمثل له أسلوبه في النظم بعد عملية التذوق التي قام بها على شعر كل منهم.

ويعد هذا النموذج من أرقى الأمثلة، وأكثرها تعبيراً عن طبيعة النقد الأدبي، في تلك الحقبة من الزمن. فكيان النقد الجاهلي كيان واضح يجمع بين التعميم والتعبير عن الانطباع الكلي دون اللجوء إلى التعليل، ((وذلك هو شأن أكثر الأحكام التي نجدها، منذ العصر ما قبل الإسلامي إلى أواخر القرن الثاني الهجري، وإذا كان هذا النموذج من أرقاها، فإن معظم النماذج الباقية، إنما تتحدث عن شؤون خارجة عن الشعر نفسه، أو عن جزئية فيه.))[2]

ومن أقدم المحاكمات النقدية أيضاً وأشهرها حكومة **أم جندب الطائية** بين زوجها **امرئ القيس** و**علقمة بن عبدة الفحل**: ((فقد رووا أن امرئ القيس لما كان عند بني طيء، زوجوه منهم أم جندب، وبقي عندهم ما شاء الله، وجاءه يوم علقمة بن عبدة التميمي، وهو قاعد في خيمته وخلفه أم جندب، فتذاكرا الشعر، فقال امرئ القيس: أنا اشعر منك! وقال علقمة بل أنا اشعر منك!. فقال: قل، وأقول؟، وتحاكما إلى أم جندب، فقال امرئ القيس قصيدته التي مطلعها،

خليليَّ مُرَّا بي على أم جندبِ*لنقضيَ حاجاتِ الفؤادِ المعذَّبِ**

1-الموشح، المرزباني، ص 108.

2-إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص646.

ثم قال علقمة في القافية والروي، القصيدة التي مطلعها:

ذهبْتَ من الهجرنِ في كلِّ مذهبِ*ولم يكُ حقاً كلُّ هذا التجنُّبِ**

واستطرد كل منهما في وصف ناقته وفرسه، فلما فرغ علقمة فضلته أم جندب على امرئ القيس، فقال لها: بما فضلته علي، فقالت: فرس ابن عبدة أجود من فرسك!. قال: وبماذا!. قالت: إنك زجرت، وحركت ساقيك، وضربت بسوطك. تعني قوله في قصيدته، حيث وصف فرسه:

فللزجْرِ ألهوبٌ وللساقِ درَّةٌ*وللسوط منه وقعُ أخرجَ مهذِبِ.**

وقال علقمة:

فأدركَهُنَّ ثانياً من عِنانهِ*يمرُّ كمرِّ الرائحِ المتحلِّبِ.**

فأدرك فرسه ثانيا من عنانه، لم يضربه بالسوط ولم يتعبه، فقال امرئ القيس: ما هو بأشعر مني، ولكنك له وامق*.))[1]

وهنا نرى شكل النقد في تلك المرحلة الأولية حين غلب الهوى في حكم **أم جندب** لـ**علقمة** على حساب زوجها **امرئ القيس** الذي طلقها بعد هذه الحادثة ليخلفه عليها **علقمة**.

((فقد أخبر المخبرون عن الشعراء أن امرئ القيس كان رجلا مفرّكا، غير محبب إلى النساء، فكن يتحملن عشرته كارهات، وتلك الكراهية كانت عاملا نفسيا له أثره في هذا

1-ابن قتيبة الشعر والشعراء، 146/1.

* وامق: أي عاشقة ومحبة.

الـرأي الـذي أبدتـه أم جنـدب، ولم تصـدر فيـه عـن علـة معقولـة، أو نظـرة عميقـة في قصـيدة الشـاعرين، ولم يسـتوعب رأيهـا مـا في القصـيدتين كـاملتين مـن الصـور الكثـيرة والصـور المتعـددة، ولم تراع فضل السابق عن المتأخر.))[1]

ولقـد فسـر **امـرؤ القـيس** خسـارته بهـوى **أم جنـدب** لـ**علقمـة** حـين حاولـت أن تلـتمس العلـة الموضـوعية الـتي تسـوغ بهـا رأيهـا، إلا في بيـت واحـد قـام فيـه **امـرئ القـيس** بالـتحكم في جـواده عـبر الكـلام وتحريـك السـاق والضـرب بالسـوط، في حـين أن فـرس **علقمـة** يتحـرك مـن خلال العنان.

بالـرغم مـن أنـه لـيس في بيـت **امـرئ القـيس** مـا يـدل علـى قلـة جـودة في راحلتـه، لأنـه قـال أن جـواده يجـري جـرياً شـديداً كلهيـب النـار حينمـا يحـرك سـاقه، وإذا رفـع سـوطه فـإن الجـواد يـدرُّ في الجـري كالسـيل والمطـر وحينمـا يزجـره هـاج الحصـان. **ممـا** جعلـه يرجـع رأي **أم جندب** في شعره إلى كراهية له وجزع منه.

ثم أن الحصـان ومهمـا كـان فـإن الـتحكم فيـه وتحريكـه يـتم بلـوازم هـي تحريـك السـاقين والضرب بالسوط.

((ومرّ المسيب بن علس بمجلس بني قيس بن ثعلبة، فاستنشدوه، فأنشدهم:

ألا أنعم صباحاً أيها الربْعُ واسلَمِ*نحيّيك عن شحطٍ وإن لم تَكلَّمِ**

فلما بلغ قوله:

وقد أتناسى الهمَّ عند ادِّكاره*بناجٍ عليه الصّيعرية مِكدَمِ.**

فقال طرفة، وهو صبي يلعب مع الصبيان: (استنوق الجمل)!

1-البلاغة والنقد، المصطلح والنشأة والتجديد، محمد كريم كواز، ص127.

و(الصيعرية) سمة في عنق الناقة لا البعير، فلما سمع طرفة (ناج عليه الصيعرية) قال: قد استنوق الجمل !، وقد روي أن طرفة قال هذا القول لعمرو بن كلثوم التغلبي، حين وفد على عمرو بن هند ملك الحيرة، فأنشده شعرا له وصف فيه جملا فبينما هو في وصفه، خرج الى ما توصف به الناقة، فقال طرفة: (استنوق الجمل)!))[1]

وملاحظة **طرفة** الوجيزة والتي جاءت في محلها، أصبحت مثالا للتخطيط، ونموذجاً لاهتمام العربي صغيره وكبيره بتجويد الكلام وتصحيحه، ووضع كل شيء في محله

((ذكروا أنه لم يقو أحد من الطبقة الأولى ولا من أشباههم إلا النابغة الذبياني، في قوله:

أمن آل مية رائح أو مغتد*عجلان ذا زاد وغير مزود**

زعم البوارح أن رحلتنا غدا*وبذلك خبرنا الغراب الأسود**

وفي قوله:

سقط النصيف ولم ترد إسقاطه*فتناولته واتقتنا باليد**

بمخضب رخص كأن بنانه*عنكم يكاد من اللطافة يعقد**

فقدم المدينة على الأوس والخزرج، فأنشدهم، فقالوا إنك تكفئ الشعر، قال: وكيف ذلك؟ فجعلوا يخبرونه، وهو لا يفهم ما يريدون فقالوا لجارية: إذا صرت إلى القافية فرتلي. فلما قالت (الغراب الأسود) (ويقعد) و(باليد) و(مزود)علم، فانتبه، فلم يعد إليه، وقال: قدمت الحجاز وفي شعري ضعة، ورحلت عنها، وأنا أشعر الناس.))[2]

1-الموشح، المرزباني، ص76-77.

2-الموشح، المرزباني، ص39.

وتظهر هنا موضوعية النقد، في أبسط صورها، في نقد أهل يثرب **للنابغة** فيما وقع فيه من إقواء، وهو نقد صادق ليس فيه أثر من آثار الهوى الذاتي.

((فإذا قال قائل: إن العرب لم تكن تعرف تلك الألفاظ الاصطلاحية، ومنها (الإقواء) في عيوب القافية، قلنا: إن العرب ذكرت في أشعارها السناد والإقواء والإكفاء، وذكروا حروف الروي والقافية، وقالوا: هذا بيت، وهذا مصراع، وقال جندل بن المثنى الطهوي، يمدح قوافيه: لم أقو فيهن ولم أساند.

وقال **ذو الرمة**:

وشعر قد أرقت له غريب*أجنبه المساند والمحالا))**[1]

فقد استعمل العرب تلك المصطلحات، لتلك الدلالة قبل أن يضع **الخليل بن أحمد الفراهيدي** شيئا في علم العروض.

((وسئل الحطيئة: من أشعر العرب؟ فقال: الذي يقول:

ومن يجعل المعروف من دون عرضه*يفره ومن لا يتق الشتم يشتم**

يعني زهيراً، ثم سئل: ثم من؟ قال: الذي يقول:

من يسأل الناس يحرموه*وسائل الله لا يخيب**

يعني عبيد بن الأبرص، وكان زهير أستاذ الحطيئة، وسئل عن الحطيئة فقال: ما رأيت مثله في تكفيه على أكناف القوافي، وأخذه بأعنتها حيث شاء، من اختلاف معانيها امتداحا وذما.))[2]

1-البيان والتبيين، الجاحظ، 139/1.

2-البلاغة والنقد، المصطلح والنشأة والتجديد، محمد كريم كواز، ص130.

و**الحطيئة** في قوله هذا **عن زهير**، يبدي الموضوعية والنظرة الفاحصة الدقيقة، وإن كانت هذه الموضوعية جزئية، بحيث اقتصرت على امتداح الشاعر بقدرته على الصنعة الشعرية والتصرف في الأغراض.

والجزء الآخر منها ظهرت فيه ذاتيته في استحسانه قول **زهير** فقد ((عرف عن الحطيئة أنه أحد المتكسبين بشعره من وأنه استعمل هذا الشعر في الإشادة بمن مدوا له في حبل العطاء، والإرهاب لمن ظن منهم الظن بالعطاء، والنيل من أعراض من حرموه،))[1] كما يظهر النقد الذاتي والهوى الخاص في هذا النموذج لتلك الحقبة من الزمن.

((وقد رأى النابغة لبيد، وهو غلام جاء مع أعمامه إلى النعمان بن المنذر، فتوسم فيه الشاعرية، فسأل عنه، فنسبوه، فقال له: يا غلام إن عينيك لعينا شاعر، أتقرض من الشعر شيئا؟ نعم يا عم، قال: فأنشدني، فأنشده قوله:

ألم ترجع على الدِّمن الخوالي...

فقال له: يا غلام، أنت أشعر بني عامر، زدني، فأنشده قوله:

طلَلٌ لخولة في الرسيسِ قديمُ... فضرب بيده على جبينه، وقال: اذهب، فأنت أشعر من قيس كلها!))[2]

((وكان النابغة الذبياني تضرب له قبة حمراء من أدم بسوق عكاظ، فتأتيه الشعراء، فتعرض عليه أشعارها، فكان أول من أنشده الأعشى ميمون بن قيس أبو بصير، أنشده طويلته التي أولها:

1-المرجع السابق، ص131.

2-الموشح، المرزباني، ص60.

ما بكاء الكبير بالأطلال*وسؤالي وما ترد سؤالي**

ثم أنشده حسان بن ثابت الأنصاري:

لنا الجفنات الغر يلمعن بالضحى*وأسيافنا يقطرن من نجدة دما**

ولدنا بني العنقاء وابني محرق*فأكرم بنا خالا وأكرم بنا إبنما**

فقال النابغة: أنت شاعر، لكنك أقللت جفانك وأسيافك، وفخرت بمن ولدت، ولم تفخر بمن أنجبك، وقيل إن الخنساء أنشدته في هذا المجلس، قصيدتها في رثاء أخيها صخر:

قذى بعينيك أم بالعين عوار*أم أقفرت مذ خلت من أهلها الدار**

فقال لها النابعة: والله لولا أن أبا بصير أنشدني، لقلت إنك أشعر الجن والإنس، فقال حسان: والله لأنا أشعر منك ومن أبيك ومن جدك! فقبض النابغة على يده، ثم قال يا ابن أخي، إنك لا تحسن أن قول مثل قولي:

فإنك كالليل الذي هو مدركي*وإن خلت إن المنتأى عنك واسع**

ثم قال للخنساء: انشديه، فأنشدته، فقال: والله ما رأيت (امرأة) أشعر منك!، فقالت له الخنساء: والله ولا (رجلا)، وفي رواية أخرى: فقال له : انك قلت الجفنات، فقللت العدد، ولو قلت الجفان لكان أكثر، لأن جمع التكسير يدل على الكثرة في الجمع، بينما جمع المؤنث السالم على القلة في الجمع) وقلت: يلمعن في الضحى، ولو قلت: يبرقن بالدجى لكان أبلغ في المديح، لأن الضيف بالليل أكثر طروقاً (لأن من أمارات الكرم عند العرب أيقاد النيران ليلا ليهتدي إليها الضيف)، وقلت: يقطرن من نجدة دما، فدللت على

قلة القتل، ولو قلت: يجرين، لكان أكثر لانصباب الدم، وفخرت بمن ولدت ولم تفخر بمن ولدك، فقام حسان منكسرا منقطعا.))[1]

رغم تشكيك البعض في صحة هذا النقد، إلا أن سوق عكاظ كانت في الجاهلية مجتمعا للعرب، ومعرضا لأدبها وأخبارها. واحتكام الشعراء إلى **النابغة** أمر معروف لدى جميع العرب الذين سلموا إليه إمارة الشعر، ولقبوه "النابغة".

وإن الشك في قدرته على إقامة تلك الحجج لبيتي **حسان**، غير مقبول لأن الجاهلي ((لم يكن يعرف جمع التصحيح وجمع التكسير وجموع القلة وجموع الكثرة، ولم يكن له ذهن علمي، يفرق بين هذه الأشياء كما فرق بينها ذهن الخليل وسيبويه، ولأن مثل هذا النقد لا يصدر إلا عن رجل، عرف مصطلحات العلوم وعرف الفروق البعيدة بين دلالة الألفاظ، وألم بشيء من المنطق.))[2]

فإن حكم **النابغة** وكما أورده الرواة لا يلزمه المعرفة بمصطلحات العلوم التي عرفت في القرن الثالث الهجري لأن العربي اعلم بلغته التي يفقه أساليبها ويعرف كيف يخوض فيها. لأن **الخليل** و**سيبويه** وغيرهما من علماء اللغة اخذوا ما يعرفه العرب بفطرتهم، ليعلموه لمن فسدت لغتهم بمخالطة غيرهم أو ليعلموا به غير العرب.

ثم إن **النابغة** نفسه لم يكن ليتعلم من علم **الخليل** أو **سيبويه**، ليطلق حكما كهذا وهو يدرك المفاضلة بين الجفان والجفنات، وبين السيوف والأسياف، كما كان يعرفها جميع العرب. بل وان العلماء اللغة هم من اخذوا من لسان العرب ومن **النابغة** ليضعوا القواعد ويحددوا المصطلحات اللغوية في الصرف والنحو وغيرهما.

1-البلاغة والنقد، المصطلح والنشأة والتجديد، محمد كريم كواز، ص132-133.

1-تاريخ النقد الأدبي عند العرب، إبراهيم، ص19.

أما عندما خطأ **النابغة** فخر **حسان** بولده لا بوالده، فلأنه ابن البيئة العربية التي تمجد الآباء والأجداد، وتفخر بالأحساب والأنساب. وهو الذي يعرف أكثر من غيره بأوصاف الفخر والمدح وطرقه التي يتعارف عليها العرب. ونحن أيضا لا نظن أن **حسان** قد جهل بهذه الأوصاف وإنما لنرجسية في شخصيته، فضل ما أنتجه على ما أنتج أجداده، ولعدم فخر منه بآبائه ففخر بأبنائه.

لم يكن عهد **النابغة** ليس ببعيد عن عهد الإسلام، والرواة نقلوا محاكماته وكلامه خلال عهود بعد وفاته، حتى جاء التدوين ليحفظ هذه الآراء في الصحف والكتب، وبنا النقاد والعلماء عليها قواعد النقد وأصوله. أما **الأعشى** و**حسان** و**الخنساء** فعاشوا حتى ظهور الإسلام وتاريخ كل منهم معروف لا مجال للطعن فيه أو التشكيك في صحته.

لقد ذهب كثير من النصوص النقدية طي النسيان والإهمال، الشعرية منها وبخاصة النثرية.

فلا نستطيع أن نحكم على هذه النماذج التي وصلت إلينا، بأنها تمثل جل أشكال النقد في تلك الحقبة، وإنها تعرضه لنا بصورته الكاملة. كما انه من الصعب تحديد الأصول والقواعد التي اعتمدها النقاد الجاهليون، ومعرفة الأهداف التي كانوا يرمون إليها، وكذا المثل التي أرادوا تحقيقها.

والناظر في هذه الأقوال المأثورة يرى أنها متسمة بالارتجال، وليس فيها ما ينبئ بالنظرة الفاحصة والدراسة الممعنة التي ينشأ عنها البرهان والعلة والحجج، والتي تأتي أيضا عبر الخبرة الواسعة والعقلية المستنيرة، والتفكير المثقف.

وعلى غرار الرومان واليونان والهند والصين الذين عاصروا العرب الجاهليين، لم يكن هناك تفرغ للبحث العلمي أو الفني عند الجاهليين العرب، ولم ينتجوا كتاباً أو مصنفاً في علم من العلوم، أو فرع من فروع التفكير، ولم يشهد عليهم البراعة في صناعة غير الشعر.

فامتهنوا الشعر وخاضوا في بحوره، وألقوا أشعارهم أمام الناس فأبدى النقاد آراءهم فيها، في عبارات سريعة موجزة هي في حقيقتها أحكام ذاتية صادرة عن أهواء خاصة ومخالج نفوس أصحابها. ومع ذلك لم تخلو آراء النقاد آنذاك تماما من النزعة الموضوعية، ا وان أقوالهم جاءت على ما تمليه عواطفهم وأحاسيسهم، فقد بان في بعض النماذج التي سقناها ما يدل على النظرة الموضوعية مثل تعليل **أم جندب** حين فضلت وصف علقمة لفرسه على حساب الوصف الذي قدمه زوجها **امرئ القيس**. فما قالته يعد محاولة لالتماس العلة والبرهان في الجانب المعنوي. وفي حكم **طرفة** لبيت **المسيب بن علس** يعد نظرة موضوعية أيضا في الجانب اللغوي. وفي الجانب العروضي ما عابه أهل يثرب علة **النابغة** من إقواء في الشعر الذي يقوله، وفي الجانب المعنوي أيضا ما قدمه **النابغة** في بيتي **حسان بن ثابت**. وشهادة **الحطيئة** في أستاذه **زهير** بالتمكن في القوافي والقدرة على التصرف بها.

رغم أن هذه الأحكام في حقيقتها موضوعية، إلا أنها تبقى جزئية لا تتسم بالإحاطة والشمول أو التنقيب في زوايا الأثر الأدبي، والتعمق في الدراسة.

المبحث الثاني: البديع والقيم الدينية في المجتمع الإسلامي الجديد.

تعرض **رسول** الله صلى الله عليه وسلم لحملات معادية من قبل شعراء قريش ومن والاهم. فقد هجوا أصحابه ورد الشعراء الأنصار عليهم ونقضوا هجاءهم حيث كان ذلك أول عهد حقيقي للنقائض في الشعر العربي. ((تسبب الموقف المعادي الذي وقفه شعراء قريش من النبي وأصحابه، بحملة دينية وسياسية شنها الإسلام والمسلمون عليهم أعطيني قوتهم المعنوية المؤثرة على العرب، إذ كان الشعر له تأثير سحري على النفوس.))[1] بحيث جاء الإسلام ليبطل هذه القوة السحرية للشعر بتفكيكها في الإيديولوجية الثقافية للمجتمع العربي. وغداً القرآن بديلاً ثقافياً لهم عن الشعر. والقرآن وسم الشاعر بالمجنون والساحر والكاهن والشيطان، وان الشعراء لا يجيء بالحق لأن الشيطان هو الذي يزينه ويظل به أصحابه وسامعيه، أما القرآن فيهدي إلى الخير والحق فتبنت العقيدة الإسلامية المفهوم النقدي الجديد، حيث رسخ النقاد المسلمون هذا المعيار الفني في نفوس القوم.

ومع استمرار حمله شعراء قريش ضد **النبي** صلى الله عليه وسلم وأصحابه، فما كان على المسلمين إلا الرد عليهم بنفس الوسيلة فاستعانوا بالشعراء المسلمين من اجل دفع أذى شعراء الخصوم وكأنما يقولون نرد السيف بالسيف والشعر بالشعر، وفي طليعتهم **حسان بن ثابت الأنصاري** و**عبد الله بن رواحة** .

1- النقد الأدبي عند العرب واليونان، قصي الحسين، ص65.

يذكر الرواة المسلمون أن قريش كانت تجزع من هجاء **حسان** لأنه كان يطعنها في شرفها وقيمتها الاجتماعية والخلقية ((وكانت لا تبالي بهجاء عبد الله بن رواحة لها، لأنه كان يطعنها في دينها. ولذلك كان النقد الإسلامي يركز على تصوير المثالب، التي تقع في خانة القيم والعادات والتقاليد والأعراف)).[1] ((وكان النبي صلى الله عليه وسلم وهو الموجه الحقيقي للمنحى الفني والمعنوي الذي نحاه شعر حسان. وهو الذي كان يقول له دائما: احمل عليهم وأنا سأسلك منهم كما تسلّ الشعرة من العجين)).[2] أما عندما أسلمت قريش وسائر العرب أصبح شعر **ابن رواحة** يحز في قلوبهم حزا.

إن ظهور الشعراء المسلمين وأنصارهم للإسلام مهد السبيل لمراجعة الموقف النقدي الإسلامي، من حركة الشعر العربي والتي كانت تواكب مراحل الصراع بين الإسلاميين وخصومهم. فصار الإسلام ضد الشعراء أعداء الإسلام وليس جل الشعراء. فنزلت سورة الشعراء وفيها آيات بينات: ﴿**وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾**﴾.[3]

قسّم الموقف النقدي الإسلامي الجديد الشعراء إلى فئتين فئة ضالة غاوية فعاداها ورفضها، وفئة مؤمنة صالحة أذن لها باستعمال الشعر لقتال أعداء الإسلام معنويا قبل قتالهم بالسيف. بحيث كان يقول **الرسول** صلى الله عليه وسلم عن الشعر الذي يخرج عن مقاييس الإسلام: ((لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحا، خير له أن يمتلئ شعراً)).[4] لأنه شعر يأتي عن

2- المرجع السابق، ص67.

1 المرجع نفسه، ص67.

2- سورة الشعراء، الآيات 224 وما بعدها.

3- مختصر صحيح مسلم. 158/2.

طريق الشيطان. أما شعر **حسان بن ثابت** وشعر **عبد الله بن رواحة** في هجاء خصوم الإسلام فكان مؤيدا بالروح القدس "**جبريل**" كما قال **الرسول** صلى الله عليه وسلم.

كان الإسلام يرفض ويعادي شعر العصبية وشعر المنافرات التي كانت تغني أمجاد القبيلة في الجاهلية وشعر الهجاء والشعر الذي كان يهتك أعراض المسلمين ويظل الناس بدل أن يجمعهم على التلاقي والتعاون والتآخي. ((والقرآن الكريم حمل على الشعراء الجاهليين، غير انه لم يحمل على الشعر لان الشعر فن ولا يمكن وأد الحياة الفنية خصوصا في المجتمع العربي الذي يكاد الشعر بمفرده، أن يستقطب جميع القدرات الفنية. ومن خلال هذه الحملة نستطيع أن نتبين المفهوم النقيض. أي رأي الإسلام في الشعر)).[1]

إن الحملة على الشعراء أساسها أنهم طبقة تملك التأثير على الناس بطريق الفن، وقيادة المجتمع في الطريق المستقيم، ولكنها تقود الناس في طريق الغواية والضلال وفي اتجاهات متناقضة وخاطئة، {**وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ**} وأنهم لا يحترمون شرف الكلمة مجرده من العمل، { **فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ** }، ويستثنى منهم الشعراء الذين آمنوا والتزموا بالدعوة وتخلصوا من العيوب السابقة. فهم لا يدخلون ذواتهم ولا يسرفون في فخرهم ولا في مديحهم ولا في هجائهم ((فهذه الأنواع من الفنون الشعرية، بنظر الموقف النقدي المستجد في القران الكريم كانت تستخدم استخدام غير سليم، فيه تغيب للقيم السليمة والحقائق))[2]، حيث كان المدح يرفع الشخص أعلى الدرجات دون استحقاق. وكان الهجاء يقلل من قيمة الشخص وينزله إلى أسفل الدرك دون استحقاق أيضا. والعواطف الشخصية تتضخم في الغزل وفي الفخر. ((فأيام القبيلة ارفع الأيام، وأشرافها ارفع الأشراف. وهذا كله مخالف لأصل البناء الاجتماعي الذي أقامه الإسلام على أساس أن قيمة الفرد في عمله)).[3]

1-النقد الأدبي عند العرب واليونان، قصي الحسين، ص69

2-المرجع نفسه، ص69.

3-المرجع نفسه، ص69.

وصارت نظرة القران الكريم إلى الشعر ((تماثل اليوم ما يعرف اليوم بنظريه الالتزام))[1]، فالشعراء ملتزمون بمصلحه الجماعة ومبادئها، إذا كانوا حقا شعراء.

لاحقا استطاع النقد الإسلامي أن يخرج بالأطر الجديدة للشعر العربي الإسلامي. فإذا كان القدماء قد استنتج عمودية ثابتة توحد حولها الشعراء الجاهليون قد جاء القرآن الكريم ليزعزع هذه الأسس دون أن ينهى عن قول الشعر بالمطلق وترك الباب مفتوح أمام الشعراء المسلمين للتوحد حول عمودية جديدة للشعر الإسلامي الجديد لا نقيضا تماما لعمودية الشعر الجاهلي بل عمودية جديدة معدلة تتلخص على الالتزام بأمور نعددها في النقاط التالية:

- استدعاء الشعر المؤمن الذي يؤيد الدعوة الإسلامية وينافح عنها: الموحِّد والموحَّد.
- استدعاء الشعر الذي يرفض دوره الظلم ولا يجاريه مطلقا.
- تحري دوره العدل أثناء عملية الإبداع الشعري عند الشعراء.
- المعادلة بين الفعل والقول. على الشاعر أن يفعل ما يقول.
- أن يحمل الشعر في ثناياه روح الانتصار الإسلامي.
- أن يكون مناقضا للاسم والغواية والضياع، فلا يلتقي معها جميعا.))[2]

لقد قيد النقد الإسلامي بهذه العمودية الجديدة للشعر. كان كل شاعر يحاول أن يخرج عن هذه العمودية، يعرض نفسه لدعوة القرآن عليه بتلقيبه بقرين الشيطان لان شعره يجيء بالباطل. ((شأن السحر والكهانة والجنون، جزء من عمل الشيطان الذي يزين

4-المرجع نفسه، ص70.

1-النقد الأدبي عند العرب واليونان، قصي الحسين، ص71و72.

ويضل، فيري الباطل حقا، والحق باطلا))[1] وفي القرآن الكريم إشارات لارتباط الشعر بالسحر وتعاويز الكهنة. في قوله تعالى: ﴿**وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ *وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ *إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ** ﴾.[2] وعلماء الشعر القدماء يقولون انه كان للشعراء الجاهليين شياطين تنزل عليهم، وأن لكل فحل من الشعراء الشيطان، ينشده الشعر فكان لـ**لمخبل** شيطان أنثى كان خالها "مسحل" شيطان **الأعشى**، الذي ذكرت له مهاجاة مع **عمر بن قطن** الذي كان له قرينة اسمها "جهنام". ولقد ((ظل بعض من الشعراء في الإسلام يزعم أن له تابعا من الجن)).[3] فقد قرن **الفرزدق** بشيطانيه "هميم" و"عمرو"، ((وقد انشد فيه اعشى سليم:

وما كان جني الفرزدق قدوه*وما كان فيه مثل فحل المخبل**

وما في الخوافي مثل عمر وشيخه*ولا بعد عمر شاعر مثل مسحل.))**[4]

وأما **أبو نجم الرجاء** قال: كل شاعر من البشر شيطانه أنثى، وشيطاني ذكر. وقال آخر: إني وان كنت صغير السن وكان في عيني ما بعينِ فإن شيطاني أمير الجن. يذهب بي في الشعر كل فن. على الرغم من ذلك فإن الإسلام والقرآن الكريم ((لم يدين الشعر والشعراء بكل مطلق فبين الشعراء من {**إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا** }.[5]

2- الثابت والمتحول لأدونيس، دار العودة، بيروت،145/1.1973.

3- سورة الشعراء، الآية .212

1-العصر الجاهلي، شوقي ضيف، ص 197.

2-ثمار القلوب، الثعالبي، طبعة مصر 1326هـ، ص56.

3-سورة الشعراء، الآية 224.

ولهذا فان من الشعر ما ينطق بالإيمان ويذكر الله. من هنا لم يحرم القرآن الشعر كما حرم السحر والكهانة وإنما وجهه وجهة أخرى: ربطه بالدين المنبثق عنه فجعله أداة لخدمته)).[1] أي أن الشاعر المسلم يزين للناس دينا هو يذيع له ويحمل وطئة الكفر وعذاب جهنم في الآخرة لخصومه. أوضح **النبي** قواعد النقد الإسلامي للشعر العربي وثبت أركانه التي اعتمدها قولا وعملا. الشعر الذي يوافق الحق بنظره جيد حسن، ومنه ما لم يوافق الحق الذي يرى انه لا خير فيه فقسم الشعر إلى خبيث وطيب وتتجلى أعلى قيمة نقدية ثبوتية من قضية الشعر في عصر **النبي** حين أمر أصحابه ومن والاهم من المسلمين بعدم رواية أشعار قريش المعارضون. ((فقد نهى النبي عن حفظ قصيدة أمية بن أبي الصلت الذي حرض قريش على المسلمين بعد وقعت بدر، ورثى جميع من قتل منهم في تلك المعركة الشهيرة بين المسلمين وأعدائهم. كذلك دعا النبي صلى الله عليه وسلم أيضا إلى قيام جبهة للشعراء المسلمين تقاوم ما سعت إليه قريش، من تنظيم جبهة مناوئة للإسلام، كانت تضم عددا من الشعراء وقاده الرأي. وقد تشكلت جبهة الشعراء المسلمين آنذاك، من شعراء الأنصار المعروفين الثلاثة: حسان بن ثابت، وكعب بن مالك، وعبد الله بن رواحة.))[2] حيث أن قيام حركة شعرية بقواعد النقد القرآني والنبوي في المعركة الأدبية بين الشعراء المسلمين والشعراء المعارضين. بعد فتح مكة على يد **النبي** ودخول القبائل جميعا في الإسلام توقفت المعركة الشعرية واكتسح النقد الإسلامي للموقف الشعري العام واخذ سيادته التامة على ساحة الشعر والأدب. تأسست قواعد النقد الأدبي النبوي على الحديث الشريف من قوله صلى الله عليه وسلم: «إن من البيان لسحراً» إذ للبيان العربي تأثير في العقل والقلب. ((الشعر قرين البيان العربي يستطيع الشاعر من خلاله أن يموه الحقيقة ويزين من الباطل حتى يظهره كأنه الحق. وهذه هي القيمة الأولى للشعر، والمعنى الأول للحديث الشريف.

4-الثابت المتحول، أدونيس، 146/1.

1-النقد الأدبي عند العرب واليونان، قصي الحسين، ص 76.

كذلك فان للبيان العربي تأثيره الجمال الرائع والساحر، الذي يخلب لب الإنسان العربي ويجعله مشدودا إليه. وهذه هي القيمة الثانية للشعر، والمعنى الثاني للحديث الشريف.))[1] فصار من الضروري تجنيد الشعراء -أين يسحرون الناس بقولهم- المسلمين للانخراط بشعرهم في المعركة .

((إن سائر الأحاديث النبوية الشريفة ذات المضمون النقدي الأدبي، إنما تأسست على المعنيين الأولين للحديث السابق «إن من البيان لسحرا» وهما:

السحرية الضالة لعقول المسلمين في الشعر المعارض، والسحرية الخالبة لأفئدة العرب في الشعر الإسلامي.))[2]

قول **عائشة** فيما يروى عنها، أن **النبي** يشير إلى الهجاء. حين قال «لان يمتلئ جوف أحدكم قيحا، خير له من أن يمتلئ شعرا». أما **ابن رشيق القيرواني**، فيقول أن هذا الحديث أنما يقصد حافظ الشعر. من يتخذ الشعر أدبا وفكاهة وإقامة مروءة فلا جناح عليه. يمتد الموقف النقدي هذا ليفسر لنا سبب نهي النبي صلى الله عليه وسلم عن رواية بعض الشعر الجاهلي، ((ذكر الزمخشري في الفائق أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن رواية هجاء الأعشى لعلقمة العامري، تقديرا منه لعلقمة الذي كذب أبا سفيان فيما قاله عن النبي عند القيصر. كما يفسر نهيه لإنشاد قصيدة الأفوه الأودي الرائية التي يهجو فيها بني هاجر ويذكر النبي إسماعيل، وقصيدة أميه بن أبي الصلت، يحرض فيها قريش بعد وقعة بدر.))[3]

فقد حدد **النبي** صلى الله عليه وسلم استحسانه للشعر وقبوله شرط محافظته على الدين والأخلاق والقيم، وأعطى لهذه ((النواة مظهرا جديدا وبعدا جديدا، إذ نقل دور

2-المرجع السابق، ص 77.

1- المرجع نفسه، ص 77.

2- انظر: مصادر الشعر الجاهلي، لناصر الدين الأسد، دار المعارف، ص203-220.

الشعر في إطار الفضاء للقبلية إلى إطار الفضائل الدينية، وحول العلاقة بين الشاعر والقبيلة إلى علاقة بين الشاعر والدولة.))[1]

النقد النبوي في الشعر يرتبط بعقيدة الدولة ومصلحتها حيث أن الشعر ((لا يقيم من فنيته وجماله، وإنما يقيم من حيث فكره وفائدته)).[2] وقد استمر ذلك الرأي إلى الحقبة الراشدية.

إن الحقبة الراشدية عليها أن تتابع المسيرة الإسلامية فعلا وقولا لذا نجد رجال الصحابة يتبنون **النبي** من الشعر ويتابعونه. فتمسك الصحابة بمبادئ النقد الأدبي التي أرسلت في الحقبة النبوية وكانوا يقيمون الشعر وأصحابه انطلاقا من موقف الشعراء أنفسهم من الدعوة كما استحسنوا إنشاد بعض الشعر الذي لا يتعارض مع أهداف الرسالة الإسلامية ويتلاقى مع المضمون الديني الأخلاقي لهذه الرسالة.

((ويروى مثلا أن عمر بن الخطاب انشد قول زهير في هرم بن سنان يحدمه:

والستر دون الفاحشات ولا*يلقاك دون الخير من ستر**

إذ قصد الشاعر أن يكون الستر سترا دون الفاحشات من دون الخيرات. فقال عمر: ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم. وتضيف الرواية انه قال لبعض ولد هرم: أنشدني بعض مدح زهير أباك. فأنشده، فقال عمر: انه كان ليحسن فيكم القول. قال ونحن والله انا كنا نحسن له العطاء. فقال: قد ذهب ما أعطيتموه وبقي ما أعطاكم.))[3]

3- الثابت والمتحول، أدونيس، 148/1.

4-النقد الأدبي عند العرب واليونان، قصي الحسين، ص 80.

1-الأغاني، 129/4.

((وذكر أن الخليفة عمر بن الخطاب سأل ابن عباس ليلة مسيره إلى الجابية فقال: هل تروي لشاعر الشعراء؟ فقال ابن عباس: ومن هو؟ الذي يقول:

ولو ان حمدا يخلد الناس اخلدوا*ولكن حمد الناس ليس بمخلد.**

قال ابن عباس: ذلك زهير. فقال عمر: فذلك شاعر الشعراء.

وحين سأله ابن عباس: وبما كان شاعر الشعراء؟ أجابه: لأنه كان لا يعاظل* في الكلام. وكان يتجنب وحشي الشعر، ولم يمدح أحدا إلا بما فيه.))[1]

((وفي لقاءه مع وفد غطفان، سأل عمر بن الخطاب عن الذي يقول:

أتيتك عاريا خلقا ثيابي*على خوف تظن بي الظنون**

فالغيث الأمانة لم تخنها*كذلك كان نوح لا يخون**

وعن الذي يقول :

إلا سليمان إذ قال الإله له*في البرية فاحددها عن الفند**

وعن الذي يقول أيضا:

حلفت فلم اترك لنفسك ريب*وليس وراء الله للمرء مذهب**

لئن كنت قد بلغت عني خيانة*مبلغك الواشي أغش وأكذب**

ولست بمستبق أخا لا تلمه*على شعث أي الرجال المهذب**

2-الأغاني، 147/9.

* - عاظل: أي صَعَّب وأتى بالمردود من الكلام.

فأجابوا: هو النابغة الذبياني. فقال عمر: هو أشعر شعراءكم.

وسمع مرة بيت زهير بن أبي سلمى:

وان الحق مقطعه ثلاث*يمين أو نفار أو جلاء.**

فاستحسن معناه وتعجب من علمه بالحق وكان لا يفتأ يردده من حين لأخر، فيسمعه القوم منه.))[1]

كان معيار النقد عند **عمر بن الخطاب** هو أن يوافق الكلام المضمون الأخلاقي والديني، فإذا خرج عن الشعر الذي يلتزم بهذا المضمون من الشعر وهو يحبذ من الشعر الجاهلي ما اتصل منه بالمضمون الأخلاقي أروع، ومن الشعر ما اتصل منه بالمضمون الديني. حتى انه في رواية استغرب مره رثاء **الخنساء** لسادات مضر لأنهم "في النار". واستحسن جواب **متمم بن نويرة** حين ((قال له: لوددت إنك رثيت أخي بما رثيت أخاك، فأجابه متمم: لو اعلم أن أخي صار حيث أخوك ما رثيته. يريد انه مات شهيدا. فيقول عمر: ما عداني أحد بمثل تعزيته.))[2]

ومن أبرز مقاييس **عمر بن الخطاب** النقدية في الشعر قوله: ((مُر من قبلك بتعلم الشعر، فإنه يدل على معالي الأخلاق، وصواب الرأي ومعرفة الأنساب)).[3] وجاء هذا في رسالة له **لأبي موسى** حيث للشعر وظيفة تعليمية يجب المحافظة عليها خصوصا في المجتمع الإسلامي، من اجل تربية القوم وتعليمهم وتثقيفهم وخدمة قضايا الدولة.

1-البيان والتبيين، الجاحظ،239/1.

1- النقد الأدبي عند العرب واليونان، قصي الحسين، ص 83.

2- المرجع نفسه، ص83.

اتخذ **عمر بن الخطاب** من نظم الشعر موقفا أخلاقيا ينسجم انسجاما كليا مع توجهات الدعوة الإسلامية يواكب أهدافها ولا يتعارض معها وكان يحاسب ويعاقب الشعراء الذين يخرجون عن هذه الأهداف أو يخرقون محتواها. حيث ((سجن عمر بن الخطاب مرة، الشاعر المخضرم الحطيئة، حين شكاه الزبرقان ابن برد لقوله فيه:

دع المكارم لا ترحل لبغيتها*فأنت الطاعم الكاسي**

فلتبس الأمر على عمر فقال له: ما هجاك وإنما مدحك. فقال الزبرقان بحكومة حسان بن ثابت. فحكم حسان فقال: لم يهجه وحسب، وإنما سلح عليه كما يسلح الطير. فوضع عمر على الحطيئة حد السجن)).[1]

لاحقا فقد استعطف **الحطيئة** في أبيات من الشعر **عمر بن الخطاب**، فأخرجه من سجنه من هجاء الناس وتخير إنسان عن آخر. وقد أرسى **عمر بن الخطاب** سنن الشعر الأخلاقية والدينية، فهي دعائم النقد الأدبي في تلك الفترة التي تجسد مبادئ وأهداف الدعوة الإسلامية، ((رواية أن عمر سأل علي: من اشعر الناس؟ قال: الذي أحسن الوصف، واحكم الرصف، وقال الحق. قال: ومن هو؟ قال أبو محجن في قوله: «لا تسالي الناس عن مالي وكثرته» قال: أيدتني يا أبا الحسن، أيدك الله. ثم قال له: قد صدق في كل ما ذكر لولا آفة كانت في دينه من حبه الخمر.))[2]

وكان **عمر بن الخطاب** كثير البصر في جوانبه الفنية للشعر وقد وصفه **ابن رشيق** بقوله: ((كان من أنقذ أهل زمانه للشعر، وأنفذهم فيه معرفة)).[3] فاستلهام وأخلاق الإسلام في العمل الشعري، وحسن بيانه وحسن صنيعه في صياغة ألفاظه وابتعاده عن

3- النقد الأدبي عند العرب واليونان، قصي الحسين، ص 84.

1-الديوان، أبو محجن الثقفي، دار الكتاب الجديد، بيروت، 1970، ص22.

2-العمدة، ابن رشيق القيرواني، 33/1.

الحوشي والغريب. مقاييس أكد عليها **عمر بن الخطاب** في نظم الشعر مثله مثل سائر رجال الصحابة الذين عاشوا في الحقبة الراشدية. وكان **علي بن أبي طالب** يقول: ((«الشعر ميزان القول»، أو «القوم» كما في رواية ثانية)).1 أي انه العلم الأكثر صحة بين كافة العلوم ومقياس علم الرجال ويقصد **علي** الشعر الذي امتدحه **النبي** صلى الله عليه وسلم **وأبو بكر الصديق** و**عمر بن الخطاب**.

((فقد ذكر ابن رشيق القيرواني، كما يروى عن السلف، إن أعرابيا جاءه فقال له: إن لي إليك حاجة رفعتها إلى الله قبل أن ارفعها إليك، أنت قضيتها حمدت الله تعالى وشكرتك، وان لم تقضيها حمده الله تعالى وعذرتك. فقال له علي: خط حاجتك في الأرض، فاني أرى الضر عليك. فكتب الأعرابي على الأرض: إني فقير. فقال علي: يا قنبر، ادفع لي الحلة الفلانية. فلما أخذها، مثل بين يديه فقال:

كسوتني حله تبلى محاسنها*فسوف أكسوك من حسن الثنا حللا**

إن الثناء ليحي ذكر صاحبه*كالغيث يحي نداه السهل والجبلا**

لا تزهد الدهر في عرف بدأت به**فكل عبد سيجزى بالذي فعلا**

فقال علي: يا قنبر، أعطيه خمسين دينارا. أما الحلة، فلمسألتك، وأما الدنانير فلأدبك. سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: منزل الناس منازلهم.))[2]

كان موقف الصحابة من الشعر موقفاً موحداً يواكب جميع القيم الإسلامية من خلال بيانه وفنيته الموروثة بأن يجدد في المضمون ويحرض على الوقوف جانب الحق محاربة الباطل دون أن يتخلى بيانه الرفيع ولاتساق درجة الفصاحة والبلاغة فيه. ((ويعتبر شعر

3-العمدة، ابن رشيق القيرواني، 28/1.

1- العمدة، القيرواني، 29/1.

حسان بن ثابت في الحقبتين النبوية والراشدية، خير مثال على تطبيق المبادئ النقدية التي كانت ينادي بها أهل الإسلام في الشعر.))[1] إذ أن **حسان** هو أحد كبار الشعراء المخضرمين، حيث عمل على المحافظة على شكل القصيدة الجاهلية والتجديد في الموضوع الخلقي والديني، وهذا ما جعله شاعر **النبي** بامتياز. ((روت أسماء بنت أبي بكر الصديق، قالت: مر الزبير بن العوام رضي الله عنه بمجلس لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، وحساني ينشدهم، وهم آذنين لما يسمعون من شعره، فقال: مالي أراكم غير آذنين لما تسمعون ابني الفريعة؟ لقد كان ينشد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيحسن استماع هو يجزل عليه ثوابه، ولا ينشغل عنه إذا انشده.))[2]

والشعر حسب الأخبار الواردة عن الصحابة: ((هو قول يكشف عن سلوكيه أخلاقية عالية، في الإفصاح عن الحق، وفي إيجاده وصفه. ولم يلبث أن تحول إلى نوع من الأدب،))[3] حيث قال **معاوية**: ((الشعر أعلى مراتب الأدب.))[4]

ونرى رأي الإسلام في الشعر في كلمة **عمر ابن الخطاب**: "أُرؤُوا من الشعر أعفه." نستنتج من جميع الآراء والمواقف السابقة، بين مؤيده ورافضة، أنها بنيت على العيار الإسلامي. فقد قبل الشعر الذي قبله الدين الجديد، ورفض الشعر الذي ابتعد عن الدين أو خرج عليه. حيث ارتسم في فضاء الشعر ((خطان نقديان: خط النقدي أول ظل ينسجم مع هذه المبادئ النقدية الإسلامية. وخط النقدي ثان، ابتعد عنها، إذا لم نقول انه استقل عنها، محاولا الاتصال بما عرف بمدرسة الشعر الجاهلي السابقة على ظهور الدعوة

1- النقد الأدبي عند العرب واليونان، قصي الحسين، ص87.
2-العمدة، القيرواني، 30/1.
3- النقد الأدبي عند العرب واليونان، قصي الحسين، ص 87.
4- المرجع نفسه، ص 87.

الإسلامية.))[1] حيث اعتبر هذا الخط ثورة على ثورة النقد الإسلامي وهو ما يسمى بمدرسة نقد النقد.

المبحث الثالث: البديع والذوق الجمالي في ظل تطور مظاهر الحياة الاجتماعية.

حفل العصر الأموي بالنشاط على جميع المستويات: السياسية، العسكرية، الاجتماعية، الاقتصادية، الثقافية... الخ.

واشتد الصراع السياسي على الخلافة بين الأمويين والهاشميين والزبيريين وغيرهم، من أحزاب سياسية وفرق دينية، وكان الجدل والنقد الثقافي يلاحق الشعراء والأدباء أينما وجدوا.

وما كادت مسألة الخلافة تحسم لصالح الأمويين، ((حتى بدأت تلوح في سماء الأدب العربي، معالم مدرستين أدبيتين واحدة في الحجاز والثانية في البصرة. وقد نهضت الأولى على خلفية فن الغزل، متنقلة بين المدينة ومكة، بينما شعر الهجاء متنقلة بين البصرة والكوفة. فاستقلت مدرسة الغزل عن سائر الشعر العربي، على يد عمر بن أبي ربيعة. واستقلت مدرسة الهجاء على يد شعراء النقائض: جرير والفرزدق والأخطل والراعي النميري.

1- المرجع السابق، ص 88.

وتوطنت كل مدرسة في بيئة شعراءها الأول في الحجاز لم تبرحه، والثانية في الشام والعراق لم تبرحهما.))[1]

وفي ظل مدرستي البصرة والكوفة، بدأت حركة النقد الأدبي تنشط على يد العلماء والشعراء في حين كانت أبواب الخلفاء والولاة تستقبلهم وترعاهم بكل حفاوة وكرم. فتقدم لهم الجوائز كل بقدر شعره وبراعته، ما جعل التنافس يشتد بين الشعراء واندلاع الهجاء بين فريق منهم.

شهد العصر الأموي تقدما عظيما في مستوى الشعر وبلوغ قوي راق في الذوق ما دفع بعض الشعراء للتخصص في غرض من أغراضه كالغزل الحضاري الذي نشأ في بيئة الحجاز ومؤسسه **عمر بن أبي ربيعة**. والغزل العذري الذي نشأ في محيط نجد. رائده ومحققه **جميل بثينة**.

((يذكر أبو الفرج الأصفهاني في معرض ترجمته للشاعر عمر بن أبي ربيعة جملة من الآراء والمواقف النقدية، يسوقها على ألسنة أصحابها... صورة واضحة وحية عن طبيعة هذا النقد، الذي عرفته بيئة مكة والمدينة.

ولعل أوفى صورة نقدية وردتنا من الحجاز، حين نرى أربعة من الشعراء المعاصرين لعمر بن أبي ربيعة، قد أبدوا رأيهم في غزله وهؤلاء هم: نصيب بن رباح، والفرزدق، وجميل. فقال نصيب: "لعمرو بن أبي ربيعة أوصفنا لربات الحجال". أما الفرزدق فقال موجها حديثه لجميل: "هذا الذي كانت الشعراء تطلبه فأخطته وبكت الديار، ووقع هذا عليه". أما جرير فقال لعبد الله بن مسلمة بن أسلم عندما طلب من جرير أن يسمعه شعره: "إنكم

1-النقد الأدبي عند العرب واليونان، قصي الحسين، ص110.

يا أهل المدينة يعجبكم النسيب، وان انسب الناس المخزومي". يريد: ابن أبي ربيعة. أما جميل بثينة فقد قال في عمر بن أبي ربيعة: "والله ما خاطب النساء مخاطبتك أحد".))[1]

هذه الآراء النقدية كانت تبلور ظهور معالم مدرسة نقدية لشعر الغزل في العصر الأموي في مكة والمدينة على يد ناقد الحجاز **ابن أبي عتيق**، قامت على أسس قوية وناضجة.

ف**نصيب** قدم **عمر** على معاصريه في فن الغزل بحيث يرى فيه القدرة على وصف المرأة الشريفة والمصونة والمتحضرة من بين جميع الشعراء الغزليين. وكذلك **جرير** قدم **عمر** على غيره من شعراء الغزل، وقال أن أهل مكة يعجبهم شعر النسيب. أما **الفرزدق** فقد جعله مكتشف فن الغزل. في حين فضله **جميل بثينة** أكثر من غيره وأكثر من نفسه في مخاطبته النساء.

وأول صورة للنقد الأدبي في الحجاز أوردها **الأصفهاني** في "الأغاني": ((قدم الفرزدق المدينة وبها رجلان، يقال لأحدهما صريم وللآخر ابن أسماء، وصفا له فقصدهما وكان عندهما قيان، فسلم عليهما وقال لهما: من أنتما؟ فقال أحدهما: أنا فرعون. وقال الآخر أنا هامان. قال: فأين منزلكما في النار حتى أقصدكما؟. فقالا: نحن جيران الفرزدق الشاعر!

فضحكا ونزل، فسلم عليهما وسلم عليه. وتعاشروا مدة. ثم سألهما أن يجمعا بينه وبين **عمر بن أبي ربيعة**، ففعلا، واجتمعا وتحادثا وتناشدا، إلى أن انشد **عمر** قصيدته التي يقول فيها:

فلما التقينا واطمأنت بنا النوى*وغيب عنا من نخاف ونشفق**

1 - الأغاني، الأصفهاني، 70/1 و71.

حتى انتهى إلى قوله:

فقمن لكي يخلينا، فترقرقت*مدامع عينيها وضلت تدفق**

وقالت:

أما ترحمني! لا تدعني*لدى غزلي جمي الصبابة يخرُق**

فقلن:

اسكتي عنا فلست مطاعة*وخلك منا –فاعلمي– بك أرفق.**

فصاح الفرزدق: أنت والله يا أبا الخطاب اغزل الناس! لا يحسن والله الشعراء أن يقولوا مثل هذا النسيب ولا أن يرقوا هذه الرقية، وودعه وانصرف.))[1]

وإن بدا لنا رأي **الفرزدق** حكماً تأثرياً إلا أنه يتوج **لابن أبي ربيعة** لواء الشعر النسيب و**عمر ابن أبي ربيعة** هو أول من عبّد الطريق للغزل الإباحي في الحجاز.

وكان لمدينتي الحجاز مكة والمدينة شأن علمي، وكذلك شأن مادي عظيم، فتطور حياة الحجازيين وصل حد تشييد الدور والقصور على نحو من الثراء العريض، تجاوز ذلك إلى أصناف من الترف في الطعام والشراب واللّباس.

وقد وصف **طه حسين** حال المجتمع الحجازي في عصر الدولة الأموية حين قال: ((وما هي إلا أن تنشأ في الحجاز نفسه، في مكة والمدينة والطائف، طبقة من هذه الارستقراطية الفارغة التي لا تعمل شيئاً، وإنما يعمل لها ما جلبت من الرقيق، والتي تنفق وقتها في فنون اللهو والعبث والمجون. ونشأ عن هذا بعد ذلك أن جلبت الحضارة جلباً إلى الحجاز وبلاد العرب فكان الترف وكان التبطل، فكان الغناء والإيقاع والشعر الذي لا

1-الأغاني، الأصفهاني، 149/1.

يصور جدا ولا نشاطاً وإنما يصور بطالة وتهالكاً من اجل ذلك على اللذة، أو عكوفا من اجل ذلك على النفس.))[1]

فانتشرت دور الغناء في مدن الحجاز، كما عقدت له المجالس الخاصة، الأشراف والشعراء والفقهاء. بالإضافة إلى عشاق الغناء وأهل الفن والأدب.

وكانت أيضا مجالس للأدب، يهذب فيها الشعر وينقح ويرقق بما يتمشى والذوق والموسيقى. فيروى أن مكة والمدينة وضواحيها، قد امتلأت بالمغنيين، وأنهم كانوا يخرجون إلى الحج قوافل. وكان لموسم الحج أثره في حياة أهل الحجاز وأهل الغناء والشعر بشكل خاص.

فيتبادلون بما لديهم من أدب وفن وعلم ودين. وكان **عمر بن أبي ربيعة** يترقب الموسم ويستعد له حتى يضفر بمن شاء من حسان الموسم. فإذا جاء موسم الحج كان يعمد لمجالسة ((ربات الفصاحة والبلاغة من السيدات الشريفات تشف عن حوارات ومناقشات وآراء في الأدب والشعر والحياة.))[2]

ومن النساء الحضريات الشريفات اللواتي جالسن **عمر**: ((فاطمة بنت عبد الملك بن مروان، وثريا زوجة سهيل، وزينب بنت موسى الجمحي، وهند بنت الحارس المري..))[3]

وكانت كل واحدة من كل هؤلاء النساء من ربات الفصاحة والبلاغة ومن ملكات الحسن والجمال وكانت مجالسهن مجالس أدب وشعر وعلم.

فاطمة بنت عبد الملك كانت من فواضل نساء عصرها كانت دارها بدمشق، دار أدب وضيافة.

1- الفتنة الكبرى، طه حسين، ص 154.

2-النقد الأدبي عند العرب واليونان، قصي الحسين، ص 117.

3-المرجع نفسه، الصفحة نفسها

وكان لـ**سكينة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب** مجلس أدبي ذائع الصيت ((وكانت تجالس الأجلة من قريش ويجتمع إليها الشعراء والأدباء والمغنون فيحتكمون إليها، فيما أنتجته قرائحهم فتبين الغث من السمين، وتناقش المخطئ مناقشة علمية. فيقنع بخطئه ويقر لها بالفضل وقدر الحجة وسعة الاطلاع)).[1] ونظيف إليها مجالس الطرب والغناء والأدب، وكانت **سكينة** تعقدها في مجلسها بدار الهجرة في المدينة. من تلك المجالس ما رواه الأصفهاني عن المغنيين الأربعة المقدمين في عصر **سكينة: ابن سريج، والغريض، ومعبد الحجازيين، وحنين الحيري** العراقي. [2]

فكانت أولى بوادر النقد في العصر الأموي ما قيل في **عمر بن أبي ربيعة** وشعره. والأمثلة كثيرة نذكر منها: قيل ((حدثنا الزبير بن بكار قال: حدثتني ظبية مولات فاطمة بنت عمر بن مصعب. فقالت: مررت بجدك عبد الله بن مصعب وأنا داخلة منزله وهو بفنائه معي دفتر. فقال: ما هذا الذي معك؟، ودعاني فجئته وقلت: شعر عمر بن أبي ربيعة. فقال: وَيْحَكِي تدخلين على النساء بشعر عمر بن أبي ربيعة. إن لشعره لموقعاً من القلب ومدخلاً لطيفاً. لو أن شعراً يسحر لكان هو. فأرجعيه له. قالت: ففعلت.))[3]

عادت الحياة الثقافية العربية التي كانت تسود قبل الإسلام، إلى الظهور من جديد مع مطلع العصر الأموي استرجع الشعراء والنقاد والعلماء والمغنون دورهم القديم في مواكبة الحياة الثقافية، موضوع ثقافي بحت معزول عن الفكر الديني وذلك شجع على متابعة الخط الفني وتنميته وتخلصه من جميع المعوقات الأخلاقية والدينية. ((فالمأثور النقدي المروي الذي كان يواكب شعر عمر بن أبي ربيعة لم يكن ينطلق من أسس أخلاقية أو دينية بقدر ما كان يلح على تنمية الوجه الفني المستقل والذي كان لا يحتاج إلى كثير من المصداقية

1-أعلام النساء، عمر رضا كحالة، 202/2.

2-ينظر: الأغاني: الأصفهاني، 77/1.

3 - النقد الأدبي عند العرب واليونان، قصي الحسين، ص124.

والواقعية بقدر ما كان يحتاج إلى المبالغة والغلو والتخييم بعذوبة البدن بدلا من التخييل بعذوبة الروح.))[1]

اشتهر في العصر العباسي ابن أبي عتيق ونقده الساخر اللاذع الذي اختاره قالبا لآرائه النقدية لما يحب ويكره في الشعر والشاعر. وعلى الرغم من ذلك فإن نقده كان ينم عن دراية بالغة بسمعة الشعر وروح الأدب والإخلاص والنزاهة في تقييم العمل الإبداعي. وله الكثير من الأمثلة والنماذج النقدية عن نقده عمر بن أبي ربيعه وغيره الكثير. كما أحيا العصر الأموي صور الموازنة أو المفاضلة بين الشعراء والتي كانت معروفة في العصر الأموي وقد بلغت من التطور في هذا العصر حدا لا بأس به أتيح من خلاله الالتفاف إلى جوانب شعرية هامة وكانت مهمة في السابق، مثل تنوع القول في الأغراض الشعرية، والصدق الفني في المعنى والعاطفة والإيحاءات العقلية والمنطقية وأثرها على الإبداع الفني.[2]

إن بعضهم استمر في تفصيل الشعراء بشكل عام من دون الالتفات إلى ذكر الأسباب الموجبة لذلك أو الاهتمام بتعداد فضائل هذا الشاعر على ذاك، ناهيك أن بعض الشعراء كانوا يفضلون شعر غيرهم على شعرهم. وقد رويت لنا أخبار كثيرة عن هذه الموازنات التي كانت قائمة في ذلك العصر.

أما في العراق فقد غلبت على حركة نقد التفضيل أو المفاضلة بين الشعراء بوجه عام، وبين شعراء النقائض شعراء المثلث الأموي **جرير** و**الفرزدق** و**الأخطل** بوجه خاص. إذ شكل شعرهم مادة وفيرة للنقد الأدبي فدار حولها الخلاف والجدل في الأندية العامة والمجالس. وكان النقاد إذا اتفقوا على أن شعراء المثلث الأموي هم أشهر العرب في عصرهم فإنهم كانوا قد اختلفوا في تقديم أحدهم على الآخر.

1 – المرجع السابق، ص 126.

2 – ينظر: النقد الأدبي عند العرب واليونان، قصي الحسين، ص 154الى137.

كما ظهرت في العصر الأموي طبقة من النحاة واللغويين أسست لظهور علم النحو واللغة، وقد عُدّ أصحابها من أوائل الذين اشتغلوا على استنباط قواعد عامة يسير عليها الأدباء والشعراء، فقالوا بضرورة التمسك بها والحفاظ عليها حتى تستمر لغة العرب وآدابها القوية، بالمحافظة على تقاليدها العريقة الموروثة، كما عهدت في الماضي.

كما رويت عن النحاة واللغويين الذين ظهروا في العصر الأموي أخبار نقدية كثيرة مفادها أن النقد جاء مبرراً ومعللاً وموضوعياً وكان يخلو من روح التعصب والهوى، ويقصد به صاحبه العلم والتوجيه وخدمة الشعر، من جميع نواحيه إعانة بالأصول المقررة في اللغة والنحو والعروض وأبواب الأدب، ما فتح الباب لعلماء هذا العصر يبدأ بالتأسيس لنقد قائم على أسس علمية.

ونتجت عن حركة النحاة وجوه تفرقت في مذهبين هما مذهب أهل البصرة: **عنبسه الفيل** و**عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي**. ومذهب أهل الكوفة: مثل **الكساء** و**الفراء**.

أما حركة اللغويين فنتج عنها مذهبان أيضاً، مذهب البصريين: **خلف الأحمر** و**أبو زيد الأنصاري** و**الأصمعي** و**أبو عبيدة بن المثنى** و**محمد بن سلام الجمحي**. ومذهب الكوفيين: **المفضل الظبي** و**أبو عمر الشيباني** و**ابن الأعرابي** و**حماد الراوية**. [1]

ومن الجهود النقدية التي بذلها اللغويون والنحويون في العصر الأموي ما تمثل في نقد الشعر من الناحية التاريخية الأدبية، وتبيان صحة نسبته لصاحبه وفساد روايته وفساد إسناده، وقد استطاعت هذه الحركة النقدية الجديدة أن تميز بين ما كان متزايدا وكذباً من الرواة، وبين ما كان أميناً وصادقاً.

1-ينظر: المرجع السابق، ص 167 إلى 198.

لقد كانت بلاطات الملوك والخلفاء الأمويين قبله ومقصد أنظار الشعراء والأدباء وأهل الفن والأدب والنقد. لأن نفوس الخلفاء والأمراء التعلق بالأدب بسبب من غيرتهم القومية على العربية من جهة وبسبب من شدة ولعهم بالبادية وأعرابها من جهة أخرى. وحب السلاطين للمديح فكان دور الخلفاء الأمويين مميزاً في نشوء حرية أدبية واسعة ونشيطة تعيش في كنف سلطتهم. ففتحت قصور الأمويين أبوابها على مصراعيها أمام جميع أهل الأدب والفن والعلم، وأغدق عليهم السلاطين والأمراء المال، ووفروا لهم سبل الحماية الشخصية والقبلية وذلك بدافع من حبهم للآداب والفنون، وانغماسهم بتجربتها وتثقفهم بثقافتها. وكان لهم حضورهم الفذ فهم يتمتعون بالثقافة العالية والأدب والفن، كما يتمتعون بثقافة النقدية واسعة تحصلت لهم من كثرة قيامهم على مجالس أدبية ونقدية. وأشهرهم الخليفة **عبد الملك ابن مروان**. الذي قيل عنه شيخ حلبة النقد في عصره وخير من عرض للشعر محاوراً ومناقشاً وناقداً وله في ذلك أخبار كثيرة رواها الرواة والمؤرخون عنه. و**الوليد بن عبد الملك** كان أيضا يأذن للشعراء والأدباء والعلماء في مجلسه أن يتحاوروا ويناقشوا وينقد بعضهم بعضاً. وكذلك مجلس **سليمان بن عبد الملك** ومجلس **هشام بن عبد الملك**. ومجلس **عمر بن عبد العزيز** الذي بدأ نقده متأثراً للغاية بأحكام النقد في العصر الإسلامي[1].

1-ينظر: المرجع السابق، ص 199 إلى228.

الفصل الثاني:

البديع والتحولات الذوق الشعري في العصر العباسي.

- **المبحث الأول:**

مظاهر التحول في الشعر العباسي.

- **المبحث الثاني:**

إرهاصات تشكل النقد الذوقي الجديد.

- **المبحث الثالث:**

البديع والنقد المنهجي عند العرب.

المبحث الأول: مظاهر التحول في الشعر العباسي.

ازدهرت الحياة الفكرية في العصر العباسي ازدهارا كبيرا فقد تلاقت في الحضارات الإسلامية شتى الثقافات المختلفة التي تمثل الأمم وآثارها في العلم والثقافة، وكانت الدولة مزيجاً من شعوب كثيرة وأوطان متعددة من خرسان، وبلاد ما وراء النهر، وإيران، والعراق، والجزيرة العربية، مرورا بالشام، ومصر، وبلاد المغرب شمال إفريقيا، واختلاف هذه المدن ساعد على وجود تنوع وتباين في الجنس واللغة والثقافة، فالعربية كانت سائدة في جميع نواحي المدن العباسية المجاورة بما في ذلك العراق والجزيرة والشام، وحتى البلدان النائية التي استعربت من إيران إلى خرسان، وحتى مصر وهي بلدان لم يكن لها عهد بالعربية من قبل حتى وصلت إلى نواحي القارة الأوروبية بالأندلس، إلا أننا نجد الاختلاف يكمن في اللسان العربي بين البيئة والأخرى، فالجزيرة العربية والعراق كانوا يتكلمون الآرامية وشيئا من النبطية والسريانية التي تدخل تحت عباءة الآرامية، أما إيران فكانوا يتكلمون الفهلوية، وفي مصر كانوا يتكلمون القبطية، وبلاد المغرب عرفوا بالبربرية، وكان التداخل الثقافي واللغوي مع اللسان اليوناني الذي انتشر مع غزو **الإسكندر** في إيران والعراق والشام والجزيرة[1].

وهذا الاختلاف ساعد أيضا على شيوع العلوم والتداخلات الثقافية والحضارية، فمزجت المعارف والآداب بين بعضها البعض وتعددت ألوان الثقافات التي كانت مبثوثة قبل في البلدان المفتوحة الحديثة والمستعربة، فقد كان العباسيون ناشرون للدين الإسلامي، فأضرمت المناظرات بين المسلمين والبوذيين والمجوس، فكثر البحث والجدل والأخذ والعطاء، وظهر مبدأ التأويل في فهم معاني الكتب السماوية واتخذوا المنطق وسيلة للدفاع عن هذه المعاني.[2]

1-أحمد أمين ضحى الإسلام، دار الكتاب العربي، ج 1، ص122.

2-ينظر: عبد اللطيف الطيباوي، "محاضرات في تاريخ العرب والإسلام"، دار الأندلس للطباعة والنشر، ط2 سنة 1979م.ص46.

وقد كان لامتزاج البيئة العربية بالبيئة الأجنبية تأثير في الحياة العقلية والثقافية، لأن لكل عنصر من هذه العناصر عاداته وتقاليده وأفكاره وآدابه التي تميزه عن الآخر، فكان لهذا الامتزاج بين العرب والفرس والروم والهنود أثره الكبير في تغيير خصائص هذا العصر بشكل عام، وبشكل خاص فإنه أثر وبشكل مباشر وغير مباشر على الحياة الأدبية والشعرية. لأن مزج الثقافات المختلفة مع بعضها البعض يؤدي إلى خلق بيئة تتمتع بقدر كبير من الخصائص والمميزات المختلفة. وهذا ما ساعد على تحول شعوب هذه الثقافات المختلفة بكل تقاليدهم ومعتقداتهم إلى الحضارة العربية.

وقد كان العرب، وبخاصة في العصر العباسي مؤمنين إيماناً تاماً بالروح العلمية والحرية الفكرية، وهنالك بعض الملامح التي تبرز الحياة الفكرية والثقافية في هذا العصر، وترسم فيه صورة المجتمع من خلال تلك الحياة المتسعة بثقافتها المختلفة، والحقيقة أن ذلك العصر أزهى عصور العلم في بلاد الإسلام قاطبة، لأنه كان أول عصر تلقى علوم الثقافة الإسلامية كلها كاملة مفروغاً من وضعها وترجمتها وتحضيرها[1].

هنا نرى بأن الفكر العربي وصل لأعلى مراتب النضج العلمي والثقافي، لأنه كان مركز التقاء فكر مختلف الأمم والحضارات، من فكر فارسي، وفكر يوناني، وفكر آخر هندي، وحتى الروماني، وكلهم نتيجة التداخل العرقي ولامتزاج الثقافي أيضا، فاستعملوا العربية كأداة للتعبير عن تراثهم وتاريخهم، وهذا لفرض وجودهم في الدولة العربية أمام العرب وأمام الشعوب الأخرى، لأن العربية كانت لغة الدولة ولغة الإسلام وكانت العلوم تترجم وتنقل إليها باعتبارها اللغة الأم.

وهذا ما جعل عامة العرب يشهدون في العصر العباسي انقلاباً فكرياً على مستوى الحياة العقلية والعلمية، وهذا يؤثر بدوره على الحياة الشعرية. فكان العامة يتدارسون مختلف

1-محمد عبد المنعم خفاجي، "ابن المعتز وتراثه في الأدب والنقد والبيان"، ص 22.

العلوم بعد شيوع مجالس الحديث والدور والكتاتيب الخاصة بدراسة القرآن الكريم وعلم التأويل، حتى إن بعضهم ذهب إلى ضرورة تدوين الحديث، وكانوا يتنافسون على تعلم الدين والتعمق في علوم الفقه خاصة في المساجد، كمسجد البصرة الذي كان من أسمى ما يتوق إليه الناس بحثاً عن العلم وسعياً للإحاطة بشتى العلوم، حيث اشتهر كمركز علمي كانت تقام فيه العديد من حلقات العلم والبحث والمناظرة.[1]

أنشأت هذه المساجد العديد من قبل العلماء والأئمة الذين كانوا جميعا رواداً في علوم مختلفة وعديدة، ومن أبرزها نجد النحو، والحديث، الشعر، وحتى الأدب والتاريخ، وغيره من العلوم المتفرقة، ولا ننسى ذكر أنواع المجالس التي اشتهرت في العصر العباسي خاصة، وكان يُحدِّث فيها كبار العلماء على نحو **الأصمعي**، وكان يعقد مجالسه في البصرة محل إقامته، ويقال أن له مجالس أخرى في بغداد أيام **هارون الرشيد**، حتى أن له مناظرة مع رائد علم النحو **سيبويه**، وكانت لهذه المجالس دورها الأساسي في التعليم والتأديب أيضاً، ونذكر منها مجلس **كامل بن طلحة**، و**معمر بن المثنى أبو عبيدة التيمي** البصري النحوي اللذان كانا مُعلِمين في المساجد.

عَرف المسلمون منذ قيام الدولة العباسية تغيراً في شتى مجالات الحياة، فمن مجتمع بدوي إلى حضري، ومن مجتمع عربي أعرابي إلى مجتمع مختلف عما كان نتيجة اختلاط الأجناس، وانعكست هذه الملامح على الأدب عموماً، والشعر خصوصاً، ومن أبرز وأهم الصورة الاجتماعية التي سادت آنذاك:

- **الطبقية في المجتمع**: حيث ظهرت طبقتان متباينتان في المجتمع العباسي: طبقة العامة، وتتمثل في الفئة العامة من أرباب الحرف والصناعات. وطبقة النبلاء،

1- ينظر،عبد اللطيف طيباوي، محاضرات في تاريخ العرب والإسلام ،ص74-75

الأرستقراطية، بحيث تمثلت في الطبقة الحاكمة من كبار موظفي الإدارة المركزية، الخلفاء، الوزراء، والحُجاب.

وقد رسمت هاتان الفئتان الصورتين الأساسيتين للمجتمع العباسي وهما صورة الترف، وما ينطوي عليه من مجون وصورة الشظف وعيشة الكفاف، وما فيها من زهد ما ولد النقمة أيضاً، وأوغر صدور أولئك المعدمين الذين لم يجدوا ما يسد رمقهم، ويكسو عريهم، في الوقت الذي حظيت فيه الأقلية الحاكمة بالنعيم والترف،[1] وقد نتج عن هذه الطبقية مظاهر أسهمت في التأثير في شعر وأدب أبناء هذا العصر، ومنها الغلو والمبالغة في الإسراف على الملذات.

حيث أسرفت الطبقة الحاكمة في الإنفاق على الملذات، وبدون أي رقابة، وقد أدى انهماكها في حاجياتها الخاصة إلى إهمال حاد لشؤون الرعية.

وتعددت مظاهر الغنى والثراء الفاحش للحكام وأتباعهم، فبنوا الدور الفاخرة، والقصور التي تضاهي وتحاكي قصور ألف ليلة وليلة.

يصف أحدهم شيئاً من قصر الخليفة **الواثق** فيقول: ((لم يزل الخدم يسلمونني من خدم إلى خدم حتى أفضيت إلى دار مفروشة الصحن ملبسة الحيطان بالوشي المنسوج بالذهب، ثم أفضيت إلى رواق أرضه وحيطانه ملبسة بمثل ذلك)).[2]

لقد أراد خلفاء **بني العباس** تجسيد مظاهر الحضارة بالتفنن في الترف، وتنويع المأكل والمشارب وطُرق الرفاهة ومذاهب الطبخ والملابس والمباني، هذه العادات التي كانت جديدة

1 شوقي ضيف، العصر العباسي الأول، دار المعارف، ط2 . 1975 ،ص435 .

2 – أحمد أمين، ضحى الإسلام، دار الكتاب العربي، ج 1، ص123.

على مجتمعاتنا العربية الأعرابية صارت مألوفة لا غرابة فيها، تولدت نتيجة اختلاط بأجناس كثيرة وبخاصة الفرس، فقد كانت بالدرجة الأولى محاكاة لحضاراتهم. [1]

وقد نتج أيضاً عن هذه الطبقية الاجتماعية التي شهدها العصر العباسي انتشار اللهو والمجون بحيث كان المجون محصلة لعوامل عديدة، ساهمت في انتشاره، ومنها كثرة القيان والجواري، فامتلأت بهن القصور، ورفع من قدرهن، حتى أن بعض الخلفاء تزوجوا منهن، كما انتشرت دور اللهو والمجون عبر أنحاء المعمورة، وأصبح شرب الخمر والتغني به أمراً عادياً، حتى صار لها مكانتها الخاصة، ومن أسباب انتشارها اجتهاد بعض الفقهاء في تحليل النبيذ كنبيذ التمر، العسل والتين. [2]

كانت بيوت الخمور والحانات مرتعا للعامة، يمارسون فيها رذائلهم ومن ذلك التغزل بالغلمان كقول أبي نواس في أحد صغار الرهبان وكان في لسانه لثغة

ومورد الخدين من رهبانه هو بينهم كالظبي بن ليوث

جادلته في قبلة فأجابني لا والمثيح وحرمة الناقوث[3]

وقد كان للحياة الاجتماعية في تلك الحقبة الأثر البليغ على الأدب عامة والشعر خاصة، فقد أَفِلَت تلك المقدمات الطللية وأشرقت مكانها مقدمات خمرية وأخرى غزلية ماجنة، وفي مقدمة شعراء الخمرة نجد **أبو نواس** في قوله:

دع عنك لومي فإن اللوم إغراء*وداويني بالتي كانت هي الداء**

1 – ينظر، عبد الرحمن ابن خلدون، المقدمة، تحقيق عبد الله محمد الدرويش، دار يعرب،2004 ص338.

2 – أحمد أمين، نفسه، ص43.

3 – المرجع السابق، ص 42.

لقد كان الاقتصاد في الدولة العباسية مزدهرا في بسبب موقفها الهام ومناخها الملائم والاستقرار السياسي، وقد شمل هذا الرفاه الاقتصادي جميع المجالات من مصادر دخل وزراعة وصناعة وتجارة.

عملت الدولة العباسية منذ البدء على تحقيق التوازن الاقتصادي للدولة من الإيرادات والمدفوعات، لذلك حرصت منذ نشأتها على إنشاء بيت المال[1]، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن الدولة العباسية قد كانت فاحشة الثراء، حيث شكلت الجزية والزكاة والخراج والغنيمة والعشورة والمكسب وأخماس المعادن أهم موارد بيت المال فيها.

كانت خزائن العباسيين تفيض بالأموال التي كانت تُجنى من الضرائب، حتى عم الرخاء وانخفضت أسعار الحاجيات، ويرجع الفضل في ازدياد موارد الدولة في العصر العباسي إلى اهتمام الخلفاء بشؤون البلاد الاقتصادية والعمل على التنمية في مواردها والعناية بالزراعة والتجارة والصناعة وغيرها من شؤون الاقتصاد والمال، بحيث كانت تقاس ثروة الدولة العباسية بما يبقى في بيت مالها.[2]

لقد ازدهر الشعر في العصر العباسي ازدهارا واسعا، وشهد هذا العصر تنوع في الأغراض والأنواع الشعرية، حتى أننا نشهد ظهور اتجاهين متباينين، فهناك من أراد أن ينهج نهج القدماء ويسلك طريقهم ومن بينهم علماء اللغة المشهورين في هذا العصر، وهناك شعراء أرادوا الظهور بنهج شعري جديد مختلف يعبر عن عصره ومشاعر أصحابه، وهذا راجع لاختلاف ثقافات الشعراء العباسيين وتغير طبيعة العصر العباسي المعاش، إلا أن جلهم من الحاذقين والعارفين بأصل الشعر.

1- إبراهيم أيوب، التاريخ العباسي السياسي و الحضاري، ط1، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، لبنان، 1989، ص 237 .
2 - جرجي زيدان ،تاريخ التمدن الإسلامي، ج2، ط3، مطبعة الهلال، مصر، 1921، ص 33 .

حتى إن علماء اللغة الذين جمعوا الشعر الجاهلي والإسلامي ووضعوا مقاييس اللغة العربية ظلوا طوال العصر العباسي يبعثون بالأمان بالشعر القديم، ويربطون الصلة به كونه القدوة المثلى في الشعر، حيث أرادوا المحافظة على النموذج القديم بحيث يقوم الشاعر بنظم قصيدته بلغة وصور مستمدة من النموذج الجاهلي القديم محاكيا إياه محاكاة تامة .

وقد وضع جهابذة اللغة معايير عرفوا بها هؤلاء الشعراء تعريفا شاملا لكل المعاني التي يجب أن تتوفر لدى الشاعر حتى يقول شعرا، ومن بينها إصابة المعنى وإدراك غرض بألفاظ سهلة عذبة، سليمة من التكلف، لا تبلغ الهذر الزائد على قدر الحاجة، ولا تنقص نقصانا يقف دون الغاية وهو صحة السبك، وحسن النظم، وحلاوة نفس وقرب مأتى، وانكشاف معنى وكثرة ماء، أو صياغة حليت بالبديع ووشحت بالمحسنات في معنى دقيق وعميق لا يستخرج إلا بالغوص ولا يوصل إليه إلا بعد التفكير، الشعر هو كل هذه العناصر كلها، لا مجتمعة بالطبع ولا متحققة كلها عند شاعر بعينه بل موزعة بين الشعراء ومقسمة على فنون الشعر.

ويعرفه الناشئ الأكبر المشهور **بابن شرشير** الذي وصفه **أبو حيان التوحيدي** بالتفوق في مضمار الشعر وقال بأن كلامه يزيد عن كلام **قدامة بن جعفر** وغيره وله مذهب حلو و شعر بديع واحتفال عجيب، يعرف الشعر قائلا: ((الشعر قيد الكلام وعقال الأدب وسور البلاغة ومحل البراعة ومجال الجنان ومسرح البيان وذريعة المتسول ووسيلة المترسل وذمام الغريب وحرمة الأديب وعصمة الهارب وعذر الراهب وفرحة المتمثل وحاكم الإعراب وشاهد الصواب))[1]. فهذا تعريف غني جامع لكل معاني الشعر وهنا نرى أيضا بأن **أبا حيان التوحيدي** الفيلسوف والأديب الكبير صاحب كتاب (البصائر

1 – إحسان عباس "تاريخ النقد الأدبي عند العرب" الطبعة 01 الإصدار 06، سنة 2012م دار الشروق النشر والتوزيع، عمان،1997م، ص52.

والذخائر) بأنه اهتم بالجانب الشعري وحرص على تلقيه والمحافظة عليه، وليس هو فقط بل من بين اللغويين الذين برزوا في قول الشعر أيضا والوقوف على نقد الشعراء، نجد على مقدمتهم **حمّاد الراوية** و**الخليل بن أحمد الفراهيدي** و**خلف الأحمر** و**الأصمعي**. والمعروف أن أهم مجموعتين في الشعر القديم في عصر المفضليات لـ**لمفضل الضبي**، والأصمعيات **للأصمعي البصري**، حيث أن هؤلاء اللغويون كانوا هم قضاة الشعر وصيارفته، فكان الشعراء يقصدونهم ليعرضوا عليهم شعرهم لينظروا في عيوبه ويجيدوه لهم، فمن ذلك ما يروى عن **مروان بن أبي حفصة** أنه لما نظم قصيدة، من إحدى روائعه في **المهدي**. حين ذهب إلى حلقة **يونس** النحوي فقال له: ((قد قلت شعراً أعرضه عليك فان كان جيداً أظهرته، وإن كان رديئاً سترته، وأنشده القصيدة، فأعجب بها يونس وقال إنها بريئة من العيوب حينئذ مضى فأنشدها المهدي فزحف من صدر مصلاه حتى صار على البساط إعجابا بما سمع))[1].

حيث كان اللغويون وأهل العلم على دراية تامة بالشعر وذوقه، وكانوا يسيطرون على سوق الشعر العباسي، فمن رضوا عنه ذاع صيته واشتهر واستقبله الخلفاء، ومن نبذوه خمد شعره وانقطع صوته وبات منسياً، وكانوا يتعصبون وينحازون للشعر القديم وبالغوا في ذلك الانحياز حتى أنهم أسقطوا الشعر العباسي الجديد، ونرى **أبا عمر بن العلاء** يقول في المحدثين:((أنهم كل على غيرهم أن قالوا حسنا سبقوا إليه، وان قالوا قبيحا فمن عندهم))، وحتى أن الشعراء العباسيين كانوا وإن جاءوا بجيد الشعر وأفضله لغةً وأحسنه معنى وسبكاً، اتهموا بالتوليد ولو جاء هذا الشعر أية في الإبداع حتى أنه يقال أن **أبا عمر بن العلاء** عندما أعجب بشعر **جرير** و**الفرزدق** قال: لقد حسن هذا المولد، وهنا نرى إنكار العلماء لإبداع الشعر المحدث ويعتقدون بأنه مستمد ومنقول من الشعر الجاهلي القديم، وكانوا

1 - شوقي ضيف، المرجع نفسه، ص140.

يعيبونه ويرفضونه لقلة ثقتهم بلغة المولدين وأهل عصرهم، فما استشهدوا به وما اعتمدوا عليه في تعليمه لأبنائهم أو حتى لترديده، فكان اللغويين يقيسون جودة الشعر من خلال القدم والحداثة، فكل ما هو قديم هو جيد ومعصوم. ويروي الرواة أن **ابن مناذر** كان يقول لـ**أبي عبيدة**: ((اتق الله واحكم بين شعري وشعر عدي بن يزيد ولا تقل ذاك جاهلي وهذا عباسي وذاك قديم وهذا محدث، فتحكم بين العصرين ولكن احكم بين الشعرين، ودع العصبية))[1].

وكان الشعراء العباسيون يحتكمون للشعر العربي القديم وكان مصدر غذائهم الأول، حتى صاروا يتقنون اللغة اتقاناً تاماً، وكانوا على دراية واسعة ببلاغتها ونحوها وبديعها، إلا أنهم كانوا يهربون من الكلمات البدوية القديمة والألفاظ الجاهلة الموحشة والمبتذلة، واشتقوا لأنفسهم أسلوباً جديداً يحافظ فيه العباسيون على ما ورثوه من شعر قديم بصورة تلائم الحياة العباسية الجديدة، مع المحافظة على مقومات اللغة وجوانبها النحوية والتصريفية. وعرف هذا الأسلوب الجديد لدى الشعراء العباسيين بالتوليد.

و**بشار بن برد** في طليعة من أرسوا هذا الأسلوب المولد الجديد، وفيه يقول **بن المعتز**: ((كان شعره أنقى من الراحة، وأصفى من الزجاجة وأسلس على اللسان من الماء العذب))، وأسلوبه يمتاز بالنصاعة والرصانة والصفاء والرونق، وتلاه جيل من الشعراء توزعوا بين من يؤثرون الجزالة والفخامة وقوة البناء وضخامته مثل **مسلم بن الوليد**، ومن يؤثرون الليونة والسهولة مثل **أبي العتاهية** الذي عمم ذلك في الشعر الرسمي : شعر المديح. والشعر الشخصي: شعر الخمر والغزل وشعر الزهد والوعظ. وكان معاصره **أبو نواس** يحتفظ بكل

1 - المرجع السابق، ص140.

ما يمكن من جزالة في الشعر الرسمي، وفي بعض شعره الشخصي، وكثيرا ما يعمد في الضرب الأخير إلى السهولة المفرطة.[1]

وهنا نرى بأن الشعراء المولدين كانوا يعتمدون على لغة سهلة وسلسة بأسلوب بليغ يجمع بين النصاعة والجزالة والفخامة مع قوة السبك وضخامة البناء فبالرغم من أن الشعراء العباسيون عوتبوا على هذا الأسلوب الشعري من قبل اللغويين الذين لم يحبذوا التوليد خوفاً من أن تغيب شمس الموروث القديم، إلا أن التوليد يبقى أسلوباً شعرياً محدثاً جاء به الشعراء في ذلك العصر معبرين به عن النضج والحضارة وامتزاج الثقافي والرؤية الجديدة التي شهدها العصر العباسي.

ساعد الامتزاج الثقافي والفكري والتداخل الحضاري في العصر العباسي على قيام الأمة الإسلامية بخطوة قيمة وقفزة تاريخية نوعية على المستوى العلمي والأدبي من تأليف وترجمة في أنواع العلوم، ومختلف الميادين، وكما لاحظ الذهبي وضعت اللغة العربية أسس كل العلوم –تقريبا– فقل أن نرى علما إسلاميا نشأ بعد ولم يكن قد وضع في العصر العباسي، فالعرب لم يشهدوا نماذج للكتابة والتأليف من قبل ففي العصر الجاهلي رغم اختلاف الرواة على أن العرب كانوا أميين لا يكتبون كقول **الجاحظ** إلا أن النقوش والآثار تدل على أن العرب كانت لهم دراية بالكتابة والقراءة لكن ليس بالشكل المألوف لدينا الآن. وعلى الرغم من هذا إلا أنهم لم يستعملوها في حفظ تراثهم ونقله لأجيالهم اللاحقة، بل كان جل اعتمادهم على الرواية الشفوية فالشعر والنثر الجاهلي انتقلا جيلا بعد جيل مشافهة فقط، وعدم اهتمامهم بالكتابة راجع إلى طبيعة نظامهم الاجتماعي المبني على السليقة والحفظ.

إلى أن جاء عهد **الرسول** صلى الله عليه وسلم وبدأ أول عهد للتدوين عبر تدوين المسلمين للقرآن في الجلود والعظام والحجر، وبعد وفاة **الرسول** صلى الله عليه وسلم جمعه

1 – المرجع السابق، ص147.

الخلفاء الراشدون في كتاب واحد، وبعدها بدأ تدوين الحديث النبوي الشريف، وكانت هذه النواة الأولى للحركة العلمية التي عرفها العرب منذ العصر الجاهلي، ثم العصر الأموي وتوسعت رقعة الدولة الأموية وظهرت الحاجة إلى الدواوين وكتابة الرسائل، وظهر فن الخطابة، حيث أن العرب كانوا في حاجة إلى وسيلة للإعلام والتواصل بينهم وبين الدول المفتوحة، والحاجة لكتابة المواثيق والمعاهدات، وهنا نرى أن العصر الأموي اقتصر في ميدان التأليف والتدوين على خدمة الدين من جهة من تعليم للقرآن وتحفيظه للناشئة وتدوينه لهم للحفظ، وخدمة السلطة السياسية بكتابة المعاهدات والرسائل والقوانين التي تخدم نظام الخلافة.

ومع بداية الخلافة العباسية ودخول الأجناس واتساع رقعة المسلمين ونشأة الحواضر كبيرة كبغداد بلاد الخلافة حيث كان العلماء والشعراء يتسابقون إليها فكانت مركز تجمع الثقافات والعلوم من كل دول والأعراق، ففي هذا العصر وضع تفسير القرآن، وجمع الحديث ووضعت علومه، وضع علم النحو وألف فيه **سيبويه** كتابه الخالد، ووضعت كتب اللغة ورسم خطتها **الخليل بن أحمد**، كما وضع العروض. ودونت المعلقات من قبل **حمادة الراوية**، والمفضليات التي دونها **المفضل الضبي**، والأصمعيات التي دونها **الأصمعي**، ووضع **الجاحظ** أساس الكتب الأدبية، وحذا حذوه **بن قتيبة** و**المبرد** وغيرهما، ودُّون الفِقه على يد الأئمة وتلاميذهم، ودوَّن التاريخ **الواقدي** و**بن إسحاق** وأمثالهما. ومن الناحية الأخرى ترجمت كتب الفلسفة من منطق ورياضة وهيئة وطب وغيرها، فبدأ العلماء يؤلفون فيها.[1]

حيث أن العرب كانوا يسارعون في أخذ هذه العلوم اللغوية منها والدينية أيضا وأخذوا يلمون بما لدى الأمم الأخرى من ثقافات متباينة فأخذوا عن اليونانية المنطق والفلسفة وأخذوا عن الهندية علم التنجيم والفلك وحتى الرياضة وعن الفارسية علوم القانون

1 – ينظر: أحمد أمين، ضحى الإسلام، ج 02، ط 10 – دار الكتاب العربي– بيروت لبنان، ص13.

وطـرق الإدارة والتسـيير حيـث نهـض التعلـيم في العصـر العباسـي نهضـة واسـعة حيـث كـان الناشئ المتعلم يقصد الكتاتيب والمساجد حيث كانت تقام حلقات العلم والفقه فيها وحتى إن المساجد كان يقصدها المتعلمون بأهوائهم فكانت لكل فرقة حلقة تقام في المسجد ولم يقتصر على الصلاة والتعليم الدين بل كانت حلقة المحدث وأخرى لفقيه وحلقة اللغوي وأخرى لنحوي وكانت تقام المجادلات والمناظرات العلمية وحتى الشعر كان الشعراء يتناشدون في حلقة خاصة في المسجد، وذكر **الجاحظ** و**بن قتيبة** طائفة مشهورة من معلمي الكتاتيب من مثل **أبي البيداء الرياحي** اللغوي و**محمد بن السكن المحدث** و**أبي عبد الرحمان السلمي** المقرئ و**علقمة بن أبي علقمة** النحوي وكان هذا الأخير يعتني في مكتبه بتعليم الناشئة العربية والنحو والعروض، ومات في خلافة المنصور وقد ألف بعض الأدباء رسالة تجمع نوادره.[1]

1 - ينظر: المرجع نفسه، ص99.

المبحث الثاني: إرهاصات تشكل النقد الذوقي الجديد:

إن الباحث حينما يلتمس البذور الأولى للنقد عند العرب يجد أنهم عرفوا كثيرا من الأحكام النقدية التي أعانتهم على تفهم الشعر وتذوقه، والأمة التي أنجبت الشعراء الفحول والخطباء، لا بد أن تعرف المعالم التي يخوض فيها الشعراء والخطباء،[1] ونلاحظ مع ظاهرة تطور الأدب من شعر و نثر تطورا في النظرة إليها، أي في الأحكام النقدية، ويمكن أن نميز ثلاث طوائف من المهتمين ينمو الدراسات والآثار الأدبية، تناقش وتبسط آراءها، وتضع المؤلفات النقدية، وتساهم في تطور النقد مثلما تساهم في تطوير الفن نفسه: الطائفة الأولى هي طائفة الأدباء، من شعراء وكتاب، والثانية اللغويون، وقد عنوا باللغة وتسجيل شواهد واستنباط أحكامها، كما اهتموا برواية الشعر ونقده، والثالثة طائفة المتكلمين، وأسهموا بنصيب كبير في تطوير أمور النقد والبلاغة، وكذلك كان الأدباء ينقدون الشعر بفطرتهم وذوقهم كان **بشار**ى أجودهم، وأدقهم في نقد الشعر ومذهبه، وكان **أبو عبيدة** يعجب من فطنة **بشار** وصحة قريحته، وجودة نقده للشعر؛[2] ولكن جهود علماء اللغة في النقد كانت أقوى وأظهر، فوضعوا الجاهليين في طبقات ولم يتركوا شاعراً مشهوراً من الجاهليين إلا رأوا فيه رأياً، ولا فناً من فنون الشعر إلا نقدوه، ونوهوا بما فيه من جيد ورديء، وهم الذين جمعوا أقوال النقاد قبلهم في "الشعر والشعراء"، ووازنوا بين الإسلاميين والمتقدمين، ونقدوا رواية الشعر وبنيته ومعانيه، وغير ذلك من الموضوعات.

لقد اتجه عدد كبير من علماء الكوفة والبصرة منذ أواخر العصر الأموي إلى العناية باللغة وجمعها، وتدوينها، وزاد في أسباب هذا الاهتمام ما أصاب اللغة وشابها من جراء دخول الأعاجم في الإسلام، فشاع اللحن وفشا الخطأ وتكونت اتجاهات مختلفة لسبل جمع

1- شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي – العصر العباسي الأول –، ص 109.

2 – أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج3، ص35.

اللغة، وتنقيحها واستعملوا طرائق كثيرة حفظتها كتب اللغة وثنايا المعاجم، وقد تعاقبت في العصر العباسي ثلاثة أجيال من علماء البصرة والكوفة تجمع اللغة والشعر. ومن الجيل الأول من البصرة:

أبو عمرو بن العلاء (ت 154 هـ)، وهو أحد القراء السبعة.

ومن الجيل الثاني **خلف الأحمر (ت 180 هـ)**، و**الأصمعي (ت 213 هـ)**، وهو صاحب "الأصمعيات" ذائعة الصيت، وشأنه في رواية الشعر عظيم.

ومن الجيل الثالث: **محمد بن سلام الجمحي** صاحب "طبقات فحول الشعراء" الجاهليين والإسلاميين.

وكان دور هؤلاء اللغويين هاما في جمع الشعر، وروايته وجمع اللغة ووضع النحو والعروض، فكانوا يعتبرون أنفسهم حفظة اللغة والشعر،[1] ولم يعتدوا بالشعر إلا إذا جرى على مقاييس اللغة، ووقفوا أمام المحاولات الجديدة بالمعارضة والرّد، ولم يدرج **ابن سلام** في طبقاته أي شاعر عباسي، وتتبعوا شعراء عصرهم بالنقد والحساب، وكان بعض الشعراء يعرض شعره عليهم طلبا للرأي ودفعا للهجوم، وكان مقاسهم دائما الاحتكام إلى الشواهد القديمة والقياس عليها، وهذا الاعتبار كان الشعر القديم أرجح عندهم وأقوم، وانفصل من هذا فرع آخر ذلك أنهم صاروا يحكمون للشاعر وعليه بالبيت الواحد: بما في ذلك من تعسف غير موضوعي، وما آل إليه الأمر من وراء ذلك إلى اعتبار البيت الواحد وحدة النقد.

1 – رضوان الداية، تاريخ النقد الأدبي، ص 240.

واتخذ معنى محدد كمقياس، وتبع ذلك المقايسة بين أقوال الشعراء ومدى نسبة قول كل واحد إلى غيره ممن سلف أو سبق إلى فكرة ما، وهذا كان بداية مركزة الموضوع دخل الدراسات النقدية من باب واسع هو موضوع السرقات.[1]

ويعتبر كتاب الطبقات **لابن سلام الجمحي** نموذجاً جيداً لنضخ آراء اللغويين، ممثلا لطريقتهم، وكتاب الطبقات من أقدم الدراسات التي ألفت في النقد وسارت على منهج واحد.[2]

وقد قدّم لكتابه بمقدمة عن صناعة الشعر، وقيمة المدارسة للشعر في الإعانة على إتقانه، وتطرق إلى الحديث عن الانتحال وعمل اللغويين في كشف الزيف، وقسّم الشعراء، وفصل بين الجاهليين والإسلاميين "زماناً"، وبين شعراء المناطق "مكاناً"، وخص بعض الفنون بباب، فكانت قسمته هذه براعة وإبداعا" مبكرين، ويلاحظ أنه لم يورد للعباسيين شعراً.

وكان كتابه من أهم ما صدر عن اللغويين من كتب نقدية ذات قيمة من هذا الباب.[3]

ومن كتبهم "فحول الشعراء" لـ**لأصمعي** وهو متقدم، وكتاب "الموشح في مأخذ العلماء" لـ**لمرزباني** وهو يعني علماء اللغة، وفيه شيء من النقد اللغوي النحوي، ولا يرقى إلى مرتبة كتاب **ابن سلام**.

1 – المرجع السابق، ص 241.

2 – محمد زغلول سلام، تاريخ النقد العربي إلى القرن الرابع الهجري، ص 98.

3 – شوقي ضيف، تاريخ الأدب العرب، العصر العباسي الأول، ص 14.

أ- **ابن سلام وكتاب طبقات الشعراء:**

أما **ابن سلام** البصري، الراوية والعالم بالشعر، عاش في النصف الأخير من القرن الثاني الهجري، والثلث الأول من القرن الثالث، ودرس و تثقف وأحاط باللغة والآداب والأشعار، واهتم بالنقد مع تأثر بروح عصره في الاستيعاب والشرح والتحليل، وكتابه أول مؤلف في النقد[1] كما يقولون، والصحيح أنه ألف قبله كتب أخرى في موضوع كتابه نفسه، وبحوث كتابه تشتمل ذكر أئمة العربية واتجاهاتهم العلمية، وتناول شرح الشعر العربي وأثره ونشأته وتكوره وتنقله في القبائل وانتحاله ثم يذكر طبقات الجاهليين العشر، وشعراء المراثي، وشعراء القرى العربية، كما يذكر طبقات الإسلاميين العشر، جاعلا في كل طبقة أربعة من

الشعراء، مع الدراسة العميقة والتحليل الدقيق، والنقد الممتع لرجال هذه الطبقات وحياتهم ومذاهبهم الفنية في الشعر، والكتاب من مصادر ثقافتنا الأدبية في النقد، ولا يكاد يستغني عنه باحث أو دارس، وهو ضروري في دراسة النقد، وجامع الكثير من الآراء فيه وقد رواه عن **ابن سلام** ابن أخته **أبو خليفة الفضل بن الحباب الجمحي (ت 305هـ)**. هذا الناقد اللغوي من أوائل النقاد المشهورين الذين حاولوا أن يحددوا مفاهيم جديدة للشعر، واستطاعوا أن يدفعوا بالنقد الأدبي خطوة إلى الأمام تجعله يميل إلى التحليل، والموازنة مع شيء من التحليل الدقيق.

عُدّ كتاب " الطبقات " أول الكتب في النقد العربي. ونحن إذا جعلنا هذا الكتاب في أول دراسة للنقد التاريخي ذلك أن معظم النقاد المحدثين يعدون هذا المؤلف كتاباً تاريخياً، وعلى رأسهم **محمد مندور** صاحب كتاب "النقد المنهجي عند العرب"، حيث يقول **مندور**: ((إذا كان النقد قد أخذ يستخدم علوم اللغة المختلفة لتوضيح أحكامه وتعليلها، وذلك عندما تكونت تلك العلوم، فهو بدوره قد اتخذ أساسه الجوهري في أول كتاب ألف

1- ينظر: نقد الشعر، لقدامة بن جعفر، تح : محمد عبد المنعم خفاجة، ص 32.

في تاريخ الأدب العربي، وهو طبقات الشعراء لابن سلام الجمحي (232هـ) وذلك لما هو واضح في منهج تبويبه للأدب من اتخاذ أحكام النقد فيصلا في النهاية .))[1]

ب- ابن قتيبة كتاب الشعر والشعراء:

يمثل كتاب **ابن قتيبة** اتجاهاً جديداً في القرن الثالث للهجرة بعد طبقات **ابن سلام**، وذلك أن **ابن سلام** كان يمثل رأي العلماء المتعصبين للقدم، ومنهج القدماء في الشعر والشعراء، ولذلك أوقف كتابه على شعراء الجاهلية، وصدر الإسلام، وعصر بني أمية، ولم يذكر أحدا من الشعراء المحدثين من معاصريه في البصرة والكوفة كـ**بشار** وطبقته، وربما كان ذلك راجعاً إلى أن الرأي في هؤلاء الشعراء لم يستقر بعد وأن اتجاههم ذلك كان موضع أخذ ورد بل كان موضع معاينة شديدة من العلماء والرواة، وخاصة علماء البصرة التي فيها نشأ **ابن سلام**.[2]

لم يقسم **ابن قتيبة** في كتابه الشعراء إلى طبقات، ولم يفاضل بينهم على أي نحو من أنحاء المفاضلة والترتيب، لكنه جمع حوالي المائتين من الشعراء مابين جاهلي ومخضرم وإسلامي ومحدث، وعلى الرغم من أن **ابن قتيبة** لم يتابع **ابن سلام** في تقسيمه الشعراء إلى طبقات، فإن تأثره به واضح جداً في الكتاب، فالكتاب إذن أقرب إلى تاريخ الأدب منه إلى النقد بالمفهوم الدقيق،[3] ولولا المقدمة البارعة التي كتبها **ابن قتيبة** لكتابه، والتي طرحت مجموعة من القضايا النقدية على جانب كبير من الأهمية والنضج ما كان لكتاب **ابن قتيبة** أن يعد بين كتب النقد.

1 - محمد مندور، النقد المنهجي عند العرب، ص 12.

2 - محمد زغلول سلام :" تاريخ النقد الأدبي " ص 132.

3 - علي عشري زايد:" النقد الأدبي و البلاغة " ص 38.

ومن ثم فإن مقدمة الكتاب تعد أهم ما فيه، وإذا كان **ابن قتيبة** قد وضع في كتابه

"أدب الكاتب" ميزاناً يزن به النثر الفني، ومقياساً يقاس به، فإنه يتوجه في هذا الكتاب إلى الشعر والشعراء، ويتناول فيه قضايا أدبية متنوعة .[1]

ويعد الكتاب مرجعاً من مراجع الأدب و تاريخه، كما يعد مرجعاً من مراجع النقد الأدبي. فقد ذكر فيه ما استجاده من شعر المائتين وستة من الشعراء الجاهليين، والمخضرمين، والإسلاميين والعباسيين، وعرض فيه أخبارا عن الشعراء، ومنازلهم، وعصورهم، وقبائلهم.. كما أثبت فيه مآخذ العلماء على هؤلاء الشعراء في الألفاظ والمعاني، والسرقات، وعرض فيه الأقسام الشعر ووجوه استحسانه ولذلك يعد الكتاب مرجأُ أدبياُ وتاريخياً ونقدياً[2]، وقد تحدث **ابن قتيبة** عن الغاية من تأليفه: ((هذا الكتاب ألفته في الشعراء، أخبرت فيه عن الشعراء وأزمانهم، وأشعارهم، وأحوالهم في أشعارهم، وقبائلهم، وأسماء آبائهم، ومن كان يعرف بلقب أو كنية منهم، وعما يستحسن من أخبار الرجل، ويستجاد من شعرهم، وما أخذته العلماء عليهم من الغلط والخطأ في ألفاظهم ومعانيهم، وما سبق إليه المتقدمون فأخذه عنهم التي يختار الشعر عليها ويستحسن لها، إلى غير ذلك مما قدمه في هذا الجزء الأول)).[3]

ويذكر **ابن قتيبة** أنه يتناول في كتابه المشهورين من الشعراء الذين يعرفهم جل أهل الأدب، معتذراً من غير المشهورين منهم حيث يقول: ((وكان أكثر قصدي للمشهورين من الشعراء الذين يعرفهم جل أهل الأدب، والذين يقع الاحتجاج بأشعارهم في الغريب، وفي النحو، وفي كتاب الله عز وجل، وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأما من حفي

1 – بسيوني عبد الفتاح فيود:" قراءة في النقد القديم " مؤسسة المختار طا 2010 ص 146.

2 – المرجع نفسه، ص147.

3– ابن قتيبة:" الشعر والشعراء "، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر الجزء الأول طبعة دار المعارف، القاهرة 1995 ص 59.

اسمه، وقل ذكره، وكسد شعره، وكان لا يعرفه إلا بعض الخواص، فيما أقل من ذكرت من هذه الطبقة إذا كنت لا أعرف منهم إلا القليل، ولا أعرف لذلك القيل أيضا أخبارا، وإذا كنت أعلم أنه لا حاجة بك إلى أن أسمي لك أسماء لأدل عليها بخبر أو زمان، أو بيت أو نادرة، أو بيت يستجاد، أو يستغرب)).[1]

لقد قصد **ابن قتيبة** في " الشعر والشعراء " إلى المشهورين من الشعراء الذين يعرفهم جل أهل الأدب، والذين يقع الاحتجاج بأشعارهم في الغريب والنحو، وفي كتاب الله، وحديث رسول الله، وتجاوز ذكر الشعراء المعروفين بالشعر عند عشائر وقبائلهم لأنه من الصعب أن يحيط بهم بكل أمانة ودقة.[2]

كما عالج قضايا مهمة جدا في النقد العربي وهي:

- قضية القديم والجديد: بحيث كان موقف المؤلف منها انه وقف بكل موضوعية وسعة أفق. فهذا الكلام العظيم يملك الصلاحية لأن يكون مرشدا للحوار حول قضية القديم والجديد في عصرنا، وفي كل العصور، حيث يؤكد المؤلف أن ما يضعه في اعتباره هو جودة الشعر ورقي مستواه بصرف النظر عن الزمن الذي قيل فيه. وينقد أولئك الذين يتحمسون للقديم بحد قِدمِه، أو يتعصبون للحديث لمجرد حداثته،

ويقرر في عبارة قاطعة أن البلاغة والعبقرية الشعرية ليست قصرا على زمان دون زمان.

- قضية اللفظ والمعنى.
- قضية بناء القصيدة العربية.
- عيوب الشعر.

1 – المرجع السابق، ص 59.

2 – قصي الحسين :" النقد الأدبي عند العرب واليونان " المؤسسة الحديثة للكتاب ط1 2003 ص 328.

- السرقات: إن قضية السرقات تعرض لها **ابن قتيبة** في إشارات عبارة إلى بعض النماذج الشعرية التي أخذت عن شعراء آخرين، وأخذها شعراء آخرون، فمسألة السرقات ستصبح في أواخر القرن الثالث، وطوال القرن الرابع قضية من أهم القضايا النقدي.

يعد كتاب **ابن سلام** " طبقات فحول الشعراء " محاولة جادة حيث جمع المؤلف فيه آراء سابقيه ومعاصريه في النقد الأدبي ونظمها تنظيما علميا، فخطا بالنقد خطوة جديدة، يظهر **ابن سلام** نقدا أدبيا متميزاً، فيه إدراك منذ لأسباب الجودة، والإخفاق في الشعر العربي القديم، وتدل آراؤه الخاصة المبثوثة في الكتاب على ذوق نقدي قادر على إنزال الشعراء منازلهم، واستخلاص الرائع من أشعارهم بالحجة والدليل.

المبحث الثالث: البديع والنقد المنهجي عند العرب.

إن مرحلة النقد المنهجي التي شهدها العصر العباسي، تجلى فيها النقد المنهجي بكل ما تحمله الكلمة من معنى، أي نقداً تدعمه أسس نظرية وتطبيقية، ويتناول بالدرس مدارس أدبية، أو شعراء أو خصومات يفصل القول فيها، ولعل هذه المرحلة الجديدة تمثل قمة التحليل النقدي لاسيما مع نقاد رأينا فيهم روح المنهج المنظم الدقيق، وهؤلاء النقاد هم على التوالي: **ابن معتز، الآمدي، عبد العزيز الجرجاني – عبد القادر الجرجاني** . أربعة نقاد يمثلون أقطاب النقد المنهجي الذي بدوره يمثل المرحلة الثانية للنقد.

عنيت طائفة الشعراء والأدباء بتحليل الشعر المحدث، والتعرف على خصائصه، وما بينه وبين القديم، فإذا كان اللغويون والنحاة قد زهدوا في الشعر المحدث وأعرضوا عنه، وولوه وجوههم وأثاروه، فإن الأدباء والشعراء، وقد أقبلوا على المحدث فنظروا فيه، ووقفوا على ما فيه من صور لا يعرفها العرب.

إن شعر **أبي تمام** يمثل أدق صورة للحياة الفنية المعقدة. أما اللغويون فقد تجاهلوه وطرحوه و ازدروه، منصرفين عنه، فلم يتذوقوه، ولم يحاولوا فهمه، وأما الأدباء فحفلوا به ودرسوه على أنه رمز الشعر المحدث، والصورة الكاملة له، ووقفوا على بعض ما جدد **أبو تمام** في فنون البديع، وما جاء في شعره من غلط في المعاني، والإحالة في الاستعارات و سوء سبك، وقبح لفظ، ورداءة طبع، وإفراط وإسراف، وخروج عن السنن المألوفة .

فالمقياس النقدي عند اللغويين والأدباء واحدة، في الحكم على الشعر المحدث، وإن تفاوتت طريقة التناول، فـ**المبرد** مثلا من اللغويين، يزدري شعر **أبي تمام** لمخالفته القديم، و**ابن معتز** من الأدباء يعيب شعر **أبي تمام** لخروجه من المألوف عند العرب،[1] وخير من يمثل هذا الاتجاه في النقد الأدبي – اتجاه الأدباء والشعراء– هو **أبو العباس عبد الله بن معتز** والذي

1-ابن النديم، الفهرست، ص116.

سنعيره فصلاً خاصاً به لاحقاً لكي نحيط بما جاء في كتابه النقدي القيّم وهو كتاب " البديع". وننتقل الآن مباشرة لمن كان بعده من أبرز النقاد العباسيين ومساهماتهم في البديع الشعري التذوق النقدي.

أ. الآمدي و"الموازنة بين الطائيين":

ازدادت خصومة **أبي تمام** في القرن الرابع الهجري بين من يناصرونه ويدافعون عنه، أمثال **أبي بكر الصولي** صاحب كتاب "أخبار أبي تمام"، و**أبي الضياء بشر بن يحي النصيبي** وله كتاب في سرقات البحتري من أبي تمام، وبين من يتعصبون ضده ويقدمون **البحتري** أمثال **ابن عمار**، و**أبي الفضل** و**ابن العميد** وغيرهما.

هؤلاء الذين تعصبوا ضده تحدثوا عن عيوبه التي تحددت في سرقاته بعض المعاني، وتعسفه في الاستعارة، وإسرافه في وجوه البديع، وبشاعة ابتداءاته، واستعماله لألفاظ وحشية غريبة، أما أنصاره فيرون أنه أتي بمذهب جديد من الشعر، وأن **البحتري** جرى على عمود الشعر العربي، فهو مقلد وليس مجدد.. ويرد أنصار **البحتري** بأن **أبا تمام** لم يأت بمذهب جديد، بل هو مقلد لـ**أبي نواس** و**مسلم بن الوليد**، فليس له إلا الإكثار والإفساد، بل إن **مسلم** و**بشار**، و**أبا نواس** ليسوا مجددين فيما استخدموه من ألوان البديع، بل هم مقلدون لمن سبقهم، فليس لهم إلا الإكثار بالقياس إلى من سبقهم، وهذا ما قال به عبد الله بن المعتز في "البديع".[1]

وهكذا أصحاب **البحتري** يرون أنه حسن الطبع، لم يفسده إسراف، ولم يتوغل في المعاني، وجرى على عمود الشعر، وعلى طريقة القدماء، وأنصار **أبي تمام** يتهمون **البحتري** بسرقة معاني **أبي تمام**، ومعاني القدماء.

1- أنظر: كتاب البديع، لابن المعتز، ص136.

والتي كانت سبباً في تأليف **الآمدي** كتابه الفريد في النقد العربي "الموازنة بين الطائيين" ففي هذا الكتاب كما يقول **محمد مندور**: ((خلاصة ما ألف في النقد قبل الآمدي كما نجد فيه منهجا للنقد ومقدرة عليه، واستقصاءً للأحكام، وتقييداً بالموضوع، وقصداً في التعميمات، وبعداً عن التعصب، وكل هذه الصفات تجعل من الآمدي زعيم النقد العربي الذي لا يدافع)).[1]

والكتاب كما هو واضح من عنوانه كتاب في الموازنة بين شعر اثنين من أشهر شعراء القرن الثالث للهجرة، وهما **أبو تمام** و**البحتري**، و**الآمدي** يقدم في هذا الكتاب لأول مرة في تاريخ النقد الأدبي منهجاً علمياً في الموازنة بين الشعراء،[2] منهجاً لا يكتفي بمجرد إصدار الأحكام الضخمة بتفضيل هذا الشاعر على ذلك، أو حتى على كل الشعراء على نحو ما كان عليه النقد العربي منذ **النابغة**.

ومنهج **الآمدي** يقوم على الموازنة بين الشاعرين في كل جانب من جوانب شعرهما دون أن يحكم بتفضيل أحدهما على الآخر بشكل عام، أو على حد قوله في مقدمة كتابه: ((فأما أنا فلست أفصح بتفضيل أحدهما على الآخر، ولكن أقارن بين قصيدة وقصيدة من شعرهما إذا اتفقتا في الوزن والقافية وإعراب القافية، وبين معين ومعني، ثم أقول أيهما أشعر في تلك القصيدة وفي ذلك المعنى، ثم أحكم أنت حينئذ إن شئت على جملة لكل واحد منهما إذا أحطت علما بالجيد والرديء))؛[3] والكتاب يبدأ بعد مقدمة صغيرة – يشرح فيها المؤلف خطته العامة في الكتاب – بهذا الحجاج بين أنصار الشاعرين، فقد اخترع **الآمدي** مناظرة طريفة تمثل النزاع الذي قام بين أصحاب **أبي تمام** وأصحاب

1 – محمد مندور، النقد المنهجي، ص98.

2 – عشري زايد، النقد الأدبي والبلاغة، ص 140.

3 – الموازنة، الآمدي، ج1، ص07.

البحتري،[1] وهي مناظرة طويلة يجدها القارئ على شكل نثر، يصوغ **الآمدي** هذا الحديث ويبدأ هذا الحجاج على لسان أنصار **أبي تمام** ويرد عليه بحجاج على لسان أنصار **البحتري**.

وجاء **الآمدي** كرجل محقق في موازنته، بأقوال كل فريق مما ذكرناه، وقد صور **الآمدي** تصويراً حسناً آراء خصوم كل شاعر، وآراء أنصاره، ووقف بينهما موقفاً عادلاً، واعتذر عن المحدثين فيما سقطوا فيه، وأورد كثيراً من أخطاء الجاهليين والإسلاميين ليبين أنّ الخطأ والزلل، وفتور الخاطر، أمور لا يكاد يعرى منها شاعر حتى القدماء،[2] ويرى **محمد مندور**: ((أنّ الآمدي أورد تلك الحجج كما انتهت إليه، وأنها لم تكن من وضعه هو، وأنّ كل فضله فيها هو فضل الجمع والعرض والربط))،[3] وعندما ينتهي **الآمدي** يقول: ((وثمّ احتجاج الخصمين بحمد الله، وأنا أبتدئ بذكر مساوئ هذين الشاعرين لأختتم بذكر محاسنهما، وأذكر طرفا من سرقات أبي تمام وإحالته وغلطه وساقط شعره، ومساوئ البحتري في أخذه ما أخذه من معاني أبي تمام، وغير ذلك من غلط في بعض معانيه، ثم أوزن من شعريهما بين قصيدتين إذا اتفقا في الوزن والقافية وإعراب القافية، ثم بين معنى ومعنى، فإنّ محاسنهما تظهر في تضاعيف ذلك وتنكشف، ثم أذكر ما انفرد به كل واحد منهما فجود من معنى سلكه ولم يسلكه صاحبه، وأفرد بابا لما وقع في شعريهما من التشبيه وباب للأمثال أختم بهما الرسالة، وأضع ذلك بالاختيار المجرد من شعريهما وأجعله مؤلفاً على حروف المعجم لقرب ويسهل حفظه وتقع الإحاطة به)).[4]

1 – زكي مبارك، النثر الفني في القرن الرابع، ص 109.

2 – بسيوني عبد الفتاح، "قراءة في النقد القديم"، ص171.

3 – محمد مندور، النقد المنهجي، ص 103.

4 – الموازنة، الآمدي، ج1، ص 22.

فـ**الآمـدي** لا يريـد أن يتحيـز لأيهمـا علـى غـير بينـة أو عـن هـوى، فإنمـا نلاحـظ أنّ مـن ينتصـر لهـذا الشـاعر أو ذاك إنمـا يفعـل ذلـك لميلـه إلى اتجـاه خـاص في الشـعر، وأمـا هـو فـلا يريـد أن يفصـح بتفضـيل أحـدهما علـى الآخـر تفضـيلاً مطلقـاً، ولكنـه يقـارن بينهمـا مقارنـة موضـعية، ويـترك الحكـم للقـارئ وهـذا بـلا ريـب كمـا يقـول الـدكتور **محمـد منـدور**: ((مـنهج ناقـد يـرفض كل تعميم مخل، ويقصر أحكامه على ما يعرض له من تفاصيل)).[1]

إذن تنـاول **الآمـدي** الخصـومة بمـنهج علمـي أشـبه مـا يكـون بمناهجنـا اليـوم فهـو مثـل يحتـذى بـه للمـنهج الصـحيح، وهكـذا نـراه يرجـع إلى النسـخ القديمـة وتحقيـق الأبيـات قبـل الحكـم عليـه، وذلـك سـواء أكـان الشـعر مـن أبي تمـام، أم مـن البحـتري، وهـذه أولى مراحـل النقـد المنهجـي السـليم، جـاء **الأمـدي** -كمـا قلنـا بعـد أن كانـت الخصـومة حـول **البحـتري** كممثـل العمـود الشـعر، و**أبي تمـام** كـرأس المـذهب البـديع، قـد أسـالت مـداداً كثـيراً، وكانـت الكتب العديدة قد ألفت في كل ناحية من نواحيها.

فكـان مـن مقتضـيات المـنهج الصـحيح أن يجمـع كـل تلـك الكتـب ويدرسـها قبـل أن يأخذ في الموازنة بينهما وهذا ما فعله **الآمدي**.

يخـبرنا **الآمـدي** عمـن يفضـلون **البحـتري**، مـن الكتـاب والأعـراب والشـعراء المطبـوعين، وأهـل البلاغـة، وعمـن يفضـلون **أبا تمـام** مـن أهـل المعـاني والشـعراء أصـحاب الصـنعة ومـن يميـل إلى التـدقيق وفلسـفيي الكـلام، أو هـو يحـدثنا عـن مـذهب كـل منهمـا، "عمـود الشـعر" عنـد **البحـتري**. و"مـذهب البـديع" عنـد **أبي تمـام**، يقـول **الآمـدي**: ((ووجـدت – أطـال الله عمـرك – أكثـر مـن شـاهدته ورأيتـه مـن رواة الأشـعار المتـأخرين يزعمـون أن شـعر أبي تمـام حبيـب بـن أوس الطـائي لا يتعلـق لجيـده جيِّـد أمثالـه، ورديـه مطـروح مـرذول، فلهـذا كـان مختلفـا لا يتشـابه، وأن شـعر الوليـد بـن عبيـد البحـتري صـحيح السـبك، حسـن الديباجـة،

1 – محمد مندور، النقد المنهجي، ص102.

وليس فيه سفساف ولا رديء ولا مطروح، ولهذا صار مستويا بعضه بعضا، ووجدتم فاضلوا بينهما لغزارة شعرهما ولكثرة جيدهما وبدائعهما، ولم يتفقوا على أيهما أشعر، كما لم يتفقوا على أحد ممن وقع التفضيل بينهم منم شعراء الجاهلية والإسلام والمتأخرين، وذلك كمن فضل البحتري ونسبه إلى حلاوة اللفظ وحسن التخلص، ووضع الكلام في مواضعه وصحة العبارة، وقرب المآتي، وانكشاف المعاني وهم الكتاب والأعراب والشعراء المطبوعون وأهل البلاغة، ومثل من فضل أبا تمام ونسبه إلى غموض المعاني، ودقتها وكثرة ما يورد مما يحتاج إلى استنباط وشرح واستخراج، وهؤلاء أهل المعاني والشعراء وأصحاب الصنعة ومن يميل إلى التدقيق وفلسفي الكلام، وإن كان كثير من الناس قد جعلهما طبقة، وذهب إلى المساواة بينهما، وإنهما لأن البحتري أعرابي الشعر، مطبوع، وعلى مذهب الأوائل، وما فارق عمود الشعر المعروف، وكان يتجنب التعقيد ومستكره الألفاظ ووحشي الكلام، فهو بأن يقاس بأشجع السلمي، ومنصور وأبي يعقوب المكفوف وأمثالهم من المطبوعين أولى، ولأن أبا تمام شديد التكلف صاحب صنعة، ومستكره الألفاظ والمعاني، وشعره لا يشبه أشعار الأوائل، ولا على طريقتهم، فما فيه من الاستعارات)).[1]

وأخيراً وبعد أن يعرض **الآمدي** لحجج أنصار الفريقين، ويورد أسماء المؤلفين الذين يأخذ عنهم. يأخذ في استعراض الموضوع معتمداً على ما ألف في ذلك، ينظر فيه ويناقشه فيقبل ما يراه صحيحاً ويرفض ما يراه باطلاً، ويكمل ما يجده ناقصا، هي حقيقة **الآمدي** في تعامله مع سرقات **أبي تمام والبحتري**، يقول **الآمدي**: ((وأنا أذكر ما وقع إلى في كتاب الناس من سرقاته، وما استنبطته أنا منها، واستخرجته، فإن ظهرت بعد ذلك منها على شيء ألحقته بما إن شاء الله))،[2] ويأخذ **الآمدي** في إيراد تلك السرقات وردها إلى أصولها التي يراها، وكما فعل مع سرقات **أبي تمام** فعل في دراسته لسرقات **البحتري**.

1 - الآمدي، الموازنة، ج01، ص03.

2 - المرجع نفسه، ص33.

أصبحت الموازنة على يد **الآمدي** كما يقول **عشري زايد**: ((منهجاً علمياً نقدياً لا ينهض على مجرد الأحكام العامة غير المبررة، وإنما يقوم على التحليل النقدي المتأني لأعمال أطراف الموازنة والمقارنة التفصيلية بينهما)).[1]

والناظر في دراسته للأخطاء والعيوب وخاصة عند **أبي تمام** يجد أن منهج الناقد هو رغبة في الإنصاف وحرص على التحقيق، وإحاطة بما كتب في الموضوع ومناقشة لآراء السابقين يقول المؤلف:

((... الذي وجدتهم ينعونه عليه هو بكثرة غلطه وإحالته وأغاليطه في المعاني والألفاظ.))[2]

لعل أكثر الفصول خصوبة في كتاب "الموازنة"، وأغناها بالتحليل والدراسة التطبيقية في الفصول التي تناول فيها **الآمدي** عيوب الشاعرين وأخطاءهما في الألفاظ والمعاني، وكذلك الفصول التي تعرض فيها لقبيح الاستعارة والتشبيه، وألوان البديع عند الشاعرين وعلى الأخص عند **أبي تمام**.

ففي هذه الفصول دون سواها يتجه **الآمدي** إلى النقد التحليلي، وإلى الشرح والتفسير، وتميز الجيد من الشعر، ثم تعليل الأحكام وتأييدها بالحجج.

وتظهر سمات نقده الحق في حديثه عن أخطاء أبي تمام، فقد تناولها من ثلاث جهات:

الأولى: أخطاؤه في الألفاظ والمعاني.

الثانية: ما في بديعه من قبح وإسراف.

1 – عشري زايد، النقد الأدبي والبلاغة، ص 144.

2 – الآمدي، الموازنة، ج1، ص 55.

الثالثة: كثرة الزحاف في شعره واضطراب الوزن.

وتبعاً لما قيل عن **الآمدي** ومنهجه التحليلي في تذوق النصوص والحكم عليها، ولعل أولى الأشياء في هذا التفكير النقدي عنده انطلقت من فكرة أنّ شعراء الجاهلية وصدر الإسلام أتوا بما يغدو مثالا يحتذى به في الفن الشعري.

ثانيا: هناك مذهبان شعريان واضحان الوضوح كله، أو طريقتان من طرائق النظم، طريقة الأوائل، "عمود الشعر"، أو "شعر الأعراب"، ثم طريقة المحدثين، أو البديع.

ثالثا: تمثل الأصالة والاختراع قيمة فنية أساسية في منهج **الآمدي** النقدي، ومن ثم وقف كثيراً عند فكرة السرقات، وإفادة المتأخر من المتقدم، فصاحب السبق عنده الشاعر الأصيل المبتدع المخترع.

رابعاً: تمثل الأنساق اللغوية القديمة، وطرائق العربي في التعبير والتصوير، جزءاً من مرجعية **الآمدي** في محاكمة النصوص.

خامساً: يمثل كتاب "الموازنة" نقطة انعطاف النقد العربي نحو التعقيد والتعليل والتفكير، استناداً إلى ثقافة عربية ممتازة وذوق يحسن الاختيار.

وقد أصبح الناقد منهجياً كما رأينا في **الآمدي**، وكما سوف نرى في **عبد العزيز الجرجاني** و**عبد الله بن معتز**.

ب. القاضي الجرجاني وكتاب "الوساطة":

لقد انطلق **أبو الحسن القاضي الجرجاني** في "وساطته" من فكرة يسلم ما العقل الصائب تماما، وهي أن التقصير شأن بشري لا يسلم منه أحد، ولأن الأمر كذلك لا ينبغي أن يبخس حسن إحسانه الكثير، ولا ينكر عظيم التبرير لضئيل التقصير والحكم الذي ينبغي أن يرضى به هنا هو المبدأ الذي يقول: "إن الحسنات يذهبن السيئات".

إذن يعتبر كتاب "الوساطة" لـ**لقاضي الجرجاني** من أهم كتب النقد في القرن الرابع الهجري، ليبين أولهما أنه يتصل بشاعر من أكبر شعراء ذلك القرن، ومن أبعد شعراء العربية ذكراً وأذيعهم شهرة، وثانيهما أن القاضي كان مع كتابه موضوعياً حاول أن يناقش كثيراً من مشكلات النقد بطريقة علمية منهجية دون الاعتماد على مجرد إلصاق التهم، وإطلاق العيوب، أو التفاخر الكاذب، وإبراز ما للشاعر مما ليس له، وادعاء مفاخر باطلة دون وجه حق.

لقد رأى **القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني** انشقاق الناس وتنازعهم وتخاصمهم حول شعر **المتنبي**...ووجد أنصارا يرفعونه ويشيدون بشعره، ويغضون عن عيوبه، ووجد خصوماً يبرزون تلك العيوب، ولا يلتفتون إلى محاسنه، بل يسكتون عنها، ويجدون في إخفائها، وقد اشتد التخاصم وقوي التنازع بين الفريقين، وبلغ الغاية لذا نجد محمد السمرة يقول: ((وفي رأينا أن الحياة النقدية في العصر كانت تدفع أبي الحسن إلى تأليف كتابه، ولم يكن كتاب الصاحب سوى حافز من حوافز عدة)).[1]

ويلحظ المتأمل أيضاً أن **القاضي** عند تأليفه هذا الكتاب كان واقعا تحت تأثير بيت **المتنبي**، يقرر فيه أبو الطيب أن أقوى الأنساب الجوار، وهو البيت الذي يخاطب فيه **المتنبي** سيف الدولة، ويذكره برباط النسب الذي يربط بني كعب بعشيرة سيف الدولة.

لهم حق بشير كيك في نزار*وأدنى الشرك في أصلي جوار.**[2]

وحديث النسب والجوار يمضي بـ**القاضي الجرجاني** إلى الحديث عن النسب القوي الذي يربط بين المشتغلين بالآداب والعلوم، هذا النسب الذي يفرض على الواحد منهم أن ينتصر للأخر ويذب عنه أذى الحساد والمتحاملين والمغرضين.

1 – محمود السمرة، القاضي الجرجاني الأديب الناقد، بيروت، 1966، ص211.

2 – ديوان المتنبي، تحقيق: عبد الرحمن البرقوقي، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، ج2، ط2، 1986، ص 215.

ولعل منهج **الجرجاني** يقترب في هذا الاتجاه، من منهج **الآمدي**، والحق أننا نلاحظ في تاريخ النقد العربي ثلاثة من النقاد حاولوا الوقوف موقفاً وسطاً بين المتنازعين، وإن اختلفت مواقعهم في القرب أو البعد من أحد الخصمين، من هؤلاء النقاد، بل أولهم **ابن قتيبة** وقف بين القدماء والمحدثين، وحاول في كتاب "الشعر والشعراء" أن ينصر قضية الشعر الحديث والشعراء المحدثين بعد أن كان النقاد وعلماء اللغة ورواة الشعر يغمضوهم حقهم، ثم **الآمدي** الذي حاول في القرن الثالث وبعد وفاة **ابن قتيبة** بما يقرب نصف قرن أن يقف موقفا وسطا بين شاعرين محدثين اختلف حولهم الناس، لأنهما كانا يمثلان اتجاهين فنيين في الشعر العباسي الشعر الذي يتبع طريقة أصحاب البديع، والشعر الذي يتبع موقفا وسطاً بين الشاعرين، ولا يميل إلى أحد الجانبين، وأن يعرض لجوانب مذهب كل منهما دون تحيز إلا أنه مع ذلك كما رأينا كان أميل بطبعه إلى **البحتري**. أما ثالثهما فهو **القاضي الجرجاني** الأديب الناقد.

يقوم منهج **القاضي** العام على "المقايسة" أي: قياس الأشباه والنظائر، وبذلك اختلف عن **الآمدي** الذي اتخذ الموازنة أساساً له في كتابه، ولكن المقايسة التي سار عليها لا تخلو من مزالق، كالتعميم والإبهام المنطقي، وعدم الوقوف

على رأي قاطع لا سيما فيما لا يمكن الاتفاق عليه بين النقاد ذوي الأذواق المختلفة.[1]

كما اتضح الاتجاه العلمي في الوساطة وبذلك مهد السبيل لتحول النقد إلى بلاغة عند صاحب "الصناعتين " وكانت لغة الفقه والقضاء واضحة كل الوضوح، وليس ذلك بغريب من ناقد اتخذ القضاء له مهنة، ولذلك نجد الحذر فيما يعرض فيما يحكم بين **المتنبي** وخصومه، يضاف إلى ذلك التواضع الذي وسم الكتاب، فلم يدع المؤلف أنه عالم، ولم

1 – أحمد مطلوب، اتجاهات النقد في القرن الرابع للهجرة، ص276.

يتسرع في الحكم إلا بعد أن يرجع إلى النصوص، ويوازن بينهما، ويظهر ما فيها من محاسن وعيوب.

ولد **الجرجاني** سنة 290 هـ وتوفي سنة 366هـ ، فهو معاصر إذا لـ**لآمدي**، ويتفق الناقدان في بعض وجهات النظر النقدية، كما يتفقان في عرض ومناقشة بعض موضوعات النقد كاتجاه **أبي تمام** و**البحتري** في الشعر.

وموضوع السرقات، وموضوع الأخطاء الشعرية، وما ينبغي أن يؤخذ على الشاعر، وما ينبغي أن لا يؤخذ، ثم هو كل منهما، واتجاهه الفني، وإن كان **الجرجاني** يختلف عن **الآمدي** في بعض نظراته للشعر، وفي ميله إلى بعض ضروب التجديد في شعر المحدثين مما لم يأخذ به **الآمدي** إلا بحذر وحيطة شديدين،[1] كذلك حاول **الجرجاني** أن يقف موقفا وسطا بين **المتنبي** وخصومه، كما حاول **الآمدي** أن يقف بين أنصار **البحتري وأبي تمام**، ولا نبخس **الجرجاني** حقه في أنه أقام دراسة منهجية مناظرة لدراسة **الأمدي** في الموازنة ولا ننكر تشاههما في كثير من اتجاهاتهما وآرائهما -كما ذكرنا- ولا يرجع ذلك أغلب الظن إلى اعتماد أحدهما على الآخر لأنهما متعاصران.[2]

إن الكتب التي ألفت قبل الوساطة، إذا لم تستطع أن توحي بأن الجو كان مهيئا للتوفيق والمصالحة – فإنها لا تنفي أن الجو العام وعلى الأخص جو المعادلات الشفوية كان خير تربة صالحة لنمو الناقد المعتدل، ونحن نستأنس هنا بشهادة القاضي الجرجاني نفسه، فهو رجل مصدق لأنه يحب أن يأخذ بأسباب التزاهة فالجرجاني يحدثنا أنه منذ أن خالط أهل الأدب وحد الناس في المتنبي فريقين، يكاد التوفيق بينهما يعد صيحة في واد.[3]

1 – محمد زغلول سلام، تاريخ النقد العربي حتى القرن الرابع، ص 284.

2 – المرجع نفسه، ص 297.

3 – إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص 315.

إذن كلا الفريقين كان يحمل للمتني اتهاما، فأهل الانتصار يرفعون المتني إلى منصة العصمة، ويخرجونه من نطاق الإنسان الذي يجوز عليه الخطأ، وأهل الاستحقار ينفونه من نطاق الأديب الذي يجوز له الفضل، فالموقف يتطلب فريقا ثالثا يسمى "أهل الاعتذار".[1]

إن أساس منهج **الجرجاني** في النقد يمكن أن نلخصه في جملة واحدة:

هي أنه رجل" يقيس الأشباه والنظائر"، وعلى هذا الأساس بني معظم "وساطته" بين **المتنبي** وخصومه، ونحن نستطيع أن نقسم كتاب **الجرجاني** إلى ثلاثة أقسام:

أولها يشمل المقدمة وفيها وضح **الجرجاني** نظرته إلى النقد والأدب، وبين النظريات النقدية التي اعتمد عليها وجاء بها، فهو قد عرض في هذا القسم آراءه العامة في النقد الأدبي، وذكر أخطاء الجاهليين، وتفاوت الشعراء تبعا للزمان والمكان، وتطور الشعر العربي إلى أن انتهى إلى البديع، وهذا كله تمهيد للدفاع

عن **المتنبي**، والتماس العذر له فيما أخطأ فيه، فهو يبدأ كتابه بتعزيز الحقيقة التي لمسها بنفسه من تعصب الناس لـ**لمتنبي** أو عليه عن الهوى، ويلاحظ أن خصوم الشاعر قد عابوه مثلا بالخطأ.

فيحاول أن ينصف الشاعر فلا يناقش ما خطوه فيه، بل يقيسه بأشباهه ونظائره فيقول: ((دونك هذه الدواوين الجاهلية والإسلامية فانظر هل تجد فيها قصيدة تسلم من بيت أو أكثر لا يمكن لعائب القدح فيه، إما في لفظه أو في نظمه، أو ترتيبه وتقسيمه، أو معناه أو إعرابه. ولو لا أن أهل الجاهلية جذوا بالتقدم، واعتقد فيهم أنهم القدوة والإعلام والحجة، لوجدت كثيرا من أشعارهم معيبة مسترذلة ومردودة منفية، ولكن هذا الظن الجميل

1- المرجع السابق، الصفحة نفسها.

والاعتقاد الحسن ستر عليهم ونفى الظن عنهم، قد هبت الخواطر في الذب عنهم كل مذهب، وقامت بالاحتجاج لهم كل مقام.))[1]

فمنهج **الجرجاني** في النقد أنه لا يناقش الأخطاء وإنما يعتذر لها، فـ**الجرجاني** كما يقول **محمد مندور**: ((مدافع يذود عن موكله لا ناقد يناقش ما أخذ على الشاعر من أخطاء أو عيوب فنية)).[2] فالفرق بينه وبين ناقد كـ**الآمدي** لا يحتاج إلى تدليل هذا الأخير الذي يصب القول على النقد الموضعي، فيغلب المعاني، وينظر في الصياغة، ويفصل الأجوبة، في كل بيت أو معنى يعرض له، والناظر في كتاب

الجرجاني لن يجد فيه من النقد الموضعي المفصل غير الصفحات الأخيرة أي ما عابه العلماء على شعر المتنبي فهو فقط عنا به **الآمدي** في موازنته وأما في بقية الكتاب فمنهجه هو ما ذكرنا من "قياس الأشباه والنظائر".

يلاحظ **الجرجاني** ملاحظة مسلما بما هي تفاوت الناس في القدرة على الشعر والفصاحة، حتى ولو اتحدت قبائلهم بل وبيوتهم، فهو يستعرض لتطور الشعر العربي ولغته.

وبعد هذا يأخذ **الجرجاني** في إيراد أمثلة للاستعارة الحسنة، والقبيحة وللتجنيس المطلق والتجنيس المستوفي، وللتجنيس الناقص وللتجنيس المضاف، ثم التصحيف والتقسيم.[3]

أعجب **الجرجاني** بأوجه البديع إعجاباً كما يرى **محمد مندور** هذا الإعجاب صدر عن ذوقه العميق، فهو الذي أبداه عند الكلام على شعر **البحتري وجرير** ثم عن مقطوعة ذلك الأعرابي حار النفحات، صادق الحس.[4]

1 – الوساطة، الجرجاني، ص14، 15.

2 – النقد المنهجي، ص 257.

3 – الوساطة، الجرجاني، ص48.

4 – النقد المنهجي، ص 266.

وقد أحسن **الجرجاني** حين تكلم في الجناس والطباع والاستعارة، فكلامه فيها وعنايته بتحقيقها هي مزيج من البلاغة والنقد،[1] فالشاعر الموهوب عنده، من اجتهد في تحسين الاستهلال والتخلص وبعدهما الخائنة فإنها المواقف التي تستعطف أسماع الحضور وتستميلهم إلى الإصغاء، كما خاض **الجرجاني** في المطلع والتخلص، وامتدح في حسن التخلص **أبا تمام والمتنبي**، واعتذر عن **البحتري** في ذلك بأنه كان يجري على مناحي القدماء.

وكذلك لم يعد النقد يرى القصيدة بيتاً بيتاً، بل نظر إليها على أنها وحدة متماسكة، لها وسط وطرفان، ولها أجزاء مؤتلفة متضامنة ليستوعبها الناقد، ويرى ما فيها من خصائص الفن. وما خاض النّقدة المحدثون في المطالع والتخلص والختام – إلا لأنهم يرون أن كثيرا من الشعر العربي قيل لينشد، وقيل ليقوم الشاعر بإلقائه في الحفل، فلا بد إذا أن يراعى براعة الاستهلال، لأنها أول ما يدخل السمع، ولا بد أن يتلطف ويترفق ويتخذ من النسيب إلى المديح أو الفن معبرا يصل به إلى معانيه دون أن يحدث نبوةً أو انقطاعاً.[2]

إذن هذه الروح العامة لـ**لجرجاني**، وذلك منهجه فهو قاض، وعالم أديب ومؤرخ إن أراء **الجرجاني** التي أوردناها في طبيعة الخلق الفني، وتأثر ذلك الخلق بالبيئة و بالطبع و بالموضوع، وأما استعراضه لتاريخ الأدب العربي وتطوره، فتلك أشياء سبق إليها النقاد من قبل من أمثال **ابن قتيبة** و**ابن سلام**، و**الآمدي** و**ابن المعتز**.

أبو الحسن القاضي الجرجاني عربي الذوق الخالص، فهو رجل سليم الفطرة، سديد النظر، بصير بأسرار الشعر، وبهذا نستطيع أن نفهم كيف أن **الجرجاني** لم يفضل الذوق، بل اتخذه المرجع النهائي في كل نقد يطمح إلى إدراك مواضع القبح أو الجمال الخفية البعيدة، فهو بذلك يجمع بين الناحية الأدبية والناحية العقلية الصرفة.[3]

1 – عبد الرحمن عبد الحميد علي، "ملامح النقد"، ص 199.

2 – المرجع نفسه، ص 199.

3 – النقد المنهجي، ص276.

بقي لنا أن نشير الآن على أن هذا القسم الأول من كتابه هو بمثابة مقدمة وضح فيها الجرجاني منهجه العام في النقد تمهيدا للدفاع عن المتنبي.

كما عرض **الجرجاني** في القسم الأول من كتابه الأخطاء الجاهليين حتى يلتمس العذر لصاحبه، ثم تناول مشكلة تفاوت شعر الشعراء تبعا لأزمتهم وبيئتهم وموضوع شعرهم، كما قام باستعراض تاريخ الشعر العربي منتهيا بأوجه

البديع المفضلة عنده، إلى جانب تفضيله الشعر المطبوع شعر **البحتري وجرير وذي الرمة.**

ننتقل للحديث عن القسم الثاني من "الوساطة" الذي يشمل دفاع **الجرجاني** عن **المتنبي**، ومنهج المؤلف في هذا الفصل هو منهج "قياس الأشباه والنظائر"، فإن كان **المتنبي** قد أخطأ أو أحال أو سرق فقد فعل ذلك غيره، كما أن له إلى جانب الشعر الجيد المطبوع الأصيل.

يأخذ صاحب "الوساطة" في الدفاع عن **المتنبي**، فيجعل خصومه نوعين: نوع يتعصب للمتقدمين، ونوع يتعصب لأبي تمام فقط من المحدثين وطريقته في الدفاع عنه أن يسلم بعيوبه ثم يلتمس له العذر، بقياسه إلى غيره من الشعراء، وبأن لكل شاعر الجيد والرديء، وأنه لم يسلم شاعر قط من الخطأ، ثم يأخذ في عرض بعض روائعه عن جيد شعره،[1] وعلى هذا يبدأ المؤلف دفاعه بأن يحدد الخصوم ويقسمهم قسمين أولئك الذين لا يرون فضلا إلا للمتقدمين جاهليين وأمويين وهؤلاء إذا يرفضون الشعر الحديث، كان من الطبيعي أن يجرحوا **المتنبي** ويهجنوا شعره لأنه لاحق بالمحدثين، ثم أولئك الذين يسلمون بفضل **أبي تمام** وحزبه ومع ذلك يهاجمون **المتنبي**.

1 - النقد العربي القديم، ص 121.

لقد كان كتاب "الوساطة" من كتب النقد المهمة، وقد استطاع مؤلفه أن يستوعب الآراء النقدية كلها، ويصوغها ويستفيد منها في الدفاع عن **المتنبي** ويستغلها في مناقشة الآراء، ولذلك يقف هو و**الآمدي** في قمة النقد المعتمد على الذوق إلى جانب اعتماده على القواعد والأصول، يقول **محمد خلف الله**: ((أنه تنبه –يقصد القاضي الجرجاني– إلى مبادئ في الذوق لها خطرها الآن كوحدة العمل الفني، وكالفصل بين الناحيتين الأخلاقية والفنية في الأدب.))[1]

ويمكن القول أنّ "الوساطة" خاتمة النقد المعتمد على الذوق إلى جانب اعتماد على القواعد والأصول فقد تحول النقد بعده إلى بلاغة، وطغت القواعد والتقسيمات عليه. ومن هنا كان وقوف المحدثين عند آراء القاضي النقدية وإعجابهم به وإن اعتبره بعضهم ممن تمسك بالقديم وآثره وحرص عليه لاعتقاده أنه المثل الكامل والصورة الصحيحة للأدب.[2]

يقول الدكتور **السمرة**: ((أنه ناقد فن –يقصد القاضي الجرجاني–، ومنارة لا يخبو نورها في تاريخ النقد الأدبي عندنا لأنّ المهم في الناقد روحه ومنهجه وذوقه قبل آرائه.))[3]

ويكفي من هذا كله أنّ **القاضي الجرجاني** قد اطّلع على الآراء النقدية السابقة كآراء **ابن سلام** في أثر البيئة وصناعة الشعر، وموقف **ابن قتيبة** من القديم والحديث، وآراء **الآمدي** في عمود الشعر والسرقات ثم صاغها من جديد واستغلها في الدفاع عن صاحبه، فكان خاتمة النقاد المتأثرين عند العرب الذين كان لهم فضل كبير على **عبد القاهر الجرجاني**، وعلى الذين درسوا **المتنبي** فيما بعد كـ**الثعالبي** صاحب "يتيمة الدهر"، و**العميدي** صاحب "الإبانة"، و**البديعي** صاحب" الصبح المنبي" وغيرهم من النقاد والمؤلفين.

1 – دراسات في الأدب الإسلامي، محمد خلف الله أحمد، طبعة القاهرة، 1947، ص150

2 – تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص153.

3 – الأديب الناقد، القاضي الجرجاني، ص92.

الفصل الثالث:

الجانب التطبيقي: كتاب البديع لابن معتز.

- **المبحث الأول:**

أ. ترجمة لعبد الله ابن معتز.

ب. بطاقة كتاب، لكتاب البديع لابن معتز.

- **المبحث الثاني:**

تلخيص أبواب كتاب البديع لابن معتز.

- **المبحث الثالث:**

البديع في كتاب البديع لابن معتز.

المبحث الأول:

أ- ترجمة لعبد الله ابن معتز (232 هـ- 296هـ).

هو **أبو العباس عبد الله بن معتز بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد بن المهدي**، واحد دهره في الأدب والشعر، وكان يقصد فصحاء الأعراب، ويأخذ عنهم، ولقي العلماء من النحويين والإخباريين كثير السماع، وغزير الرواية.

ولد **ابن المعتز** سنة اثنتين وثلاثين ومائتين، وأمه **أم ولد رومية** تسمى "**قبيحة**"، وبويع وله تسع عشرة سنة، ولم يل الخلافة قبله أحد أصغر منه، وكان بديع الحسن، قال **علي بن حرب** - أحد شيوخ **ابن معتز** في الحديث : " ما رأيت خليفة - أحسن منه، وهو أول خليفة أحدث الركوب بحلية الذهب، وكان الخلفاء قبل يركبون بالحيلة الخفيفة من الفضة.[1]

عاش **ابن المعتز** معيشة مترفة ناعمة، وأكب منذ حداثته على الأدب واللغة يأخذهما عن أعلام عصره مثل **المبرد** و **ثعلب**، و**أحمد بن سعيد الدمشقي**.

يقول صاحب الأغاني : ((وممن صنع من أولاد الخلفاء فأجاد وأحسن، وبرع وتقدم جميع أهل عصره فضلا وشرفا وأدبا و شعرا و ظرفا، وتصرفا في سائر الأدباء أبو القاسم عبد الله بن المعتز.))[2] ويظهر من خلال هذا أنه لم يعن بالثقافات الأجنبية إلا قليلا.

وجاء عن **ابن سعيد** أن **ابن المعتز** كان خطيباً كـ**قس إياد**، وشاعراً كـ**الحارث بن حلزة**، وماهراً في علم الميراث كـ**زيد بن ثابت**، وفي علم الفقه كـ**أبي حنيفة**، وبارعاً في

1 - تاريخ الخلفاء من الخلافة الراشدة إلى سنة 903 هـ، السيوطي: تحقيق الدكتور رضوان جامع رضوان - طبعة مؤسسة المختار للنشر - القاهرة ط1 2004،ص 391.

2 - الأغاني، الأصفهاني، ص 217.

العروض كـ**الخليل**، وفي النحو كـ**الكسائي**، ولا نراه يذكر في أثناء ذلك ثقافة بالفلسفة، ونحن لا نجزم بأنه لم يكن يلم بشيء من الفلسفة، ففي شعره بعض إشارات لها، وأيضا فإنه يشير إلى الفلك والتنجيم.[1]

وقد ترك صاحب البديع كثيراً من المؤلفات في الأدب والشعر لعل أهمها كتاب "طبقات الشعراء المحدثين"، وكتاب "البديع".

يقول **شوقي ضيف**: ((كان **ابن المعتز** شاعراً مصنعاً من أصحاب مذهب البديع، وكان يعجب بهذا المذهب إعجاباً شديداً دعاه إلى أن يكتب في أدواته، وزخرف كتابه " البديع "، وهو يشهد له بأنه كان فنانا عالما يحسن وضع المصطلحات الفنية.)) [2]

ويظهر من مجموعة أخبار **ابن المعتز** أنه لم يكن ينغمس في مؤامرات البلاط العباسي، وأنه اختار لنفسه عيشه المرفه، مصاحباً للأدباء والعلماء، ولو أنه مضى على ذلك لكان خيراً له، غير أن النفس أمارة بالسوء لذلك نراه حين يتوفي الخليفة المكتفي، ويتولى المقتدر سنة 295 للهجرة، وتصبح أمه ومن حولها، تعدو نحو الحكم لابنها، في ربيع الأول سنة 296 للهجرة، فيخلع المقتدر، ويتولى باسم المرتضى، غير أن ذلك لم يدم سوى يوم وليلة، وعاد **المقتدر** إلى كرسي الخلافة، واختفى **ابن المعتز**، غير أن أنصار **المقتدر** عرفوا مخبأه، فأخذوه، وقتلوه في أول ربيع الثاني، أما مؤلفاته فيقول صاحب الفهرست: ((ألف ابن المعتز كتب كثيرة منها: كتاب الزهر والرياض، وكتاب البديع، كتاب مكتبات الإخوان بالشعر، كتاب الجوارح والصيد، كتاب السرقات، كتاب أشعار الملوك، كتاب الجامع في الغناء، كتاب أرجوزته في ذم الصبوح)).[3]

---

1 – الفن ومذاهبه في الشعر العربي، شوقي ضيف، مطبعة دار المعارف، ط10، 1975، ص 262 .

2 – شوقي ضيف: "الفن ومذاهبه"، ص 265.

3 – ابن النديم، الفهرست، ص116.

ومن مؤلفاته التي لم تصلنا "كتاب السرقات" ،" و"رسالة في محاسن أبي تمام ومساوئه"، أورد منها **أبو عبيد الله محمد بن عمر ابن المرزباني** بضع صفحات في كتابه " الموشح " في مآخذ العلماء على الشعراء في عدة نواح من صناعة الشعر. [1]

إن **ابن المعتز** هو واضع أساس "علم البديع"، ما يفهم ذلك من كتاب "البديع" الذي ألفه سنة 274 للهجرة، وهو الذي انحاز بالبديع العربي إلى الزخرف المادي، وجعله لا يهتم اهتماما واسعا بالزخرف العقلي أو المعنوي الذي نراه عند **أبي تمام** مثلا، يقول الدكتور شوقي ضيف: ((لم يعرض ابن المعتز في كتابه لدرس ألوان التصنيع القائمة عنده، تلك التي كان يستنبطها من الفلسفة والثقافة ويحولها إلى ألوان زاهية مضيئة، كان ابن المعتز متخلفا في ثقافته، وهو كذالك كان متخلفا في فهم التصنيع عن البديع، كما أنه لم يستطع تطبيقه في ديوانه، فقد وقف بعمله عند الزخارف الحسية)).[2]

ابن المعتز كان شاعرا مطبوعا، حسن الإبداع، سهل اللفظ، جد القريحة، بديع التشبيه وأنظر إلى تشبيهاته الحسنة البديعة.

أن **ابن المعتز** حاول من خلال كتابة " البديع " أن يساعد على خلق النقد المنهجي، وتحديده الخصائص مذهب البديع، ووضع اصطلاحات لتلك الخصائص، فخلق هذه الاصطلاحات حدث جديد في القرن الثالث الهجري، وهو حدث له أهمية، فهذه الاصطلاحات عادة تتركز مبادئ كل علم أو فن، فجاء صاحب "البديع"، فكان عمله هذا حداً عظيماً في تاريخ النقد العربي وذلك لأمرين:

- تحديده لخصائص مذهب البديع.

1 – أنظر :الموشح، المرزباني، طبعة جمعية نشر الكتاب العربية، مصر 1343 هـ، ص 416.

2 – الفن ومذاهبه، شوقي ضيف، ص 266.

- تأثيره في النقاد اللاحقين له.

ب- بطاقة كتاب:

اسم الكتاب: البديع.

مؤلفه: أبو العباس عبد الله ابن معتز بن المتوكل بن المعتصم بن هارون الرشيد، الذي ولي الخلافة يوماً وليلة ثم مات مقتولا سنة (296هـ).

سنة تأليفه: سنة (274هـ).

دار النشر: مؤسسة الكتب الثقافية للطبع والنشر والتوزيع، بيروت لبنان.

الطبعة: الأولى (1433هـ - 2012م).

محقق الطبعة: عرفان مطرجي.

عدد الصفحات: 173 صفحة.

عدد أبواب الكتاب: خمسة أبواب رئيسية. اشتملت الاستعارة، والتجنيس، والمطابقة، وباب رد العجز على الصدر، ثم المذهب الكلامي. ثم زيد على هذه الأبواب باب خاص بمحاسن الكلام والشعر التي ضمها ابن المعتز وأضافها إلى علوم البديع. وهي: الالتفات والرجوع، حسن الخروج، وتأكيد المدح بما يشبه الذم، وتأكيد الذم بما يشبه المدح، تجاهل العارف، والهزل الذي يراد به الجد، وحسن التضمين، والتعريض، والكناية، ثم الإفراط في الصفة، وحسن التشبيه، ولزوم ما لم يلزم ثم حسن الابتداء، والتورية وأنواعها، ثم الاعتراض

المبحث الثاني:

تلخيص أبواب كتاب "البديع".

✓ الباب الأول:[1]

الاستعارة:

قال الله تعالى: ((هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب)). آل عمران: 8.

((واخفض لهما جناح الذل من الرحمة)). الإسراء:24.

((واشتعل الرأس شيبا)). مريم: 4.

من الأحاديث في قول **رسول** الله صلى الله عليه وسلم: ((خير الناس رجل ممسك بعنان فرسه في سبيل الله ، كلما سمع هيعة طار إليها)).

وقال أيضا: ((ضموا ماشيتكم حتى تذهب فحمة العشاء)).

وقال أيضا: ((إنا لا نقبل زَبَدَ المشركين)). أي رفدهم.

ومن كلام الصحابة رضي الله عنهم: قال **علي بن أبي طالب** رضي الله عنه في كتابه إلى **ابن عباس** وهو مله على البصرة في بعض كلامه: ((أرغب راغبهم واحلل عقد الخوف عنهم)). وسئل عن تغيير الشيب، وما روي في ذلك عن **النبي** صلى الله عليه وسلم في قوله: ((غيروا الشيب ولا تشبهوا باليهود)).

[1]-إبن معتز، البديع، تحقيق محد الصديق حسن خان، مؤسسة الكتب الثقافية، ط1، لبنان، 2012، ص15.

ومن الشعر ما قال **امرئ القيس**:

وليل كموج البحر أرخى سدوله * علي بأنواع الهموم ليبتلي**

فقلت له لما تمطى بصلبه * وأردف أعجازا وناء بكلكل**

وهذا من الاستعارة لأن الليل لا صلب له ولا عجز.

قال زهير:

إذا لحقت حرب عوان مضرة * ضروس تهرُّ الناس أنيابها عصل.**

تهرُّ: بمعنى تحملها على أن يكرهوا.

وقال أيضا:

صحا القلب عن سلمى وأقصر باطله * وعُري أفراس الصبا ورواجله.**

ومعنى البيت أن الشاعر تخلى عن سلمى معشوقته ولم يعد يقتني تلك الرواحل والأفراس التي كانت تحمله إليها.

✓ **الباب الثاني:**[1]

التجنيس:

وهو أن تجانس الكلمة كلمة أخرى في البيت الشعري أو الكلام. أي أن تشبهها في تأليف حروفها.

[1]-المرجع السابق، ص36.

من التجنيس ما تكون فيه الكلمة تجانس أخرى في التأليف ومعناها يشتق منها مثل قول **أبي يعقوب إسحاق بن حسان الخريمي**:

يوم خلجت على الخليج نفوسهم.

وأن يكون تجانس الكلمة في التأليف دون المعنى مثل قول **مسلم بن الوليد**: إن لوم العاشق اللوم. في البيتين:

يا صاح، إن أخاك الصب مهموم * فأرفق به، إن لوم العاشق اللوم.**

قال الله تعالى في الآية 44 من سورة النمل: ((وأسلمت مع المسلمين لله رب العالمين)).

وقال تعالى أيضا في الآية 43 من سورة الروم: ((فأقم وجهك للدين القيم)).

قال صلى الله عليه وسلم: ((الظلم ظلماتٌ)).

قال **معاوية لابن عباس** رحمه الله: ((مالكم يا بني هاشم تصابون في أبصاركم؟ (فقال): كما تصابون في بصائركم)).

✓ **الباب الثالث:**[1]

المطابقة:

[1]-المرجع السابق، ص48.

المطابقة بمعنى الطباق. حيث قال عنها الخليل رحمه الله: "طابقت بين شيئين إذا جمعتهما على حذو واحد". ومثال ذلك ان يقول الشخص لصاحبه: أتيناك لتسلك بنا سبيل التوسع فأدخلتنا في ضيق الضمان. حيث طابق بين الضيق والسعة.

قال تعالى في الآية 179 من سورة البقرة: ((ولكم في القصاص حياةُ ياؤلي الألباب)).

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إنكم لتكثرون عند الفزع وتقلون عند الطمع)).

وطابق عيسى بن طلحة بين العز والهوان حين قال لعروة بن الزبير حين ابتلي في رجله: إن ذهب أهونك علينا فقد بقي أعزك علينا.

قال **أددُ بن مالك بن زيد بن كهلان** في وصيته لأولاده: لا تكونوا كالجراد، أكل ما وجد، وأكله من وجده.

أنواع الطباق:

- طباق الإيجاب: وهو الجمع بين المعنى وضده في لفظين مختلفين. كقوله تعالى: ((ألائك الذين اشتروا الضلالة بالهدى)) البقرة:16.

وفي قول الشاعر **أبي تمام:**

في الشعر طولٌ إذا اصطكت قصائده * في الشعر، وبه من معشر قِصر.**

- طباق السلب: وهو أن يكون أحد اللفظين مثبتاً والآخر منفياً، كقوله تعالى: ((تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك)). المائدة: 116.

وفي قول **السموأل بن عادياً**:

وننكر إن شئنا على الناس قولهم * ولا ينكرون القول حين نقول.**

- إيهام التضاد: وهو أن يوهم لفظ الضد أنه ضدٌ، وهو في الحقيقة ليس كذلك.

كقول **قريط بن أنيف**:

يجزون من ظلم أهل الظلم مغفرة * ومن أساءك أهل السوء إحسانا.**

حيث أن الظلم ليس ضد المغفرة بل ضد العدل. لكنه يوهم بأنه كذلك.

أيضا في قول **أبي تمام**:

ما إن ترى الأحساب بيضاً وضحاً * إلا بحيث ترى المنايا سودا**

هنا الأبيض ليس ضد الأسود، ولو كان كذلك لكان لكل لون ضد.

✓ **الباب الرابع**:[1]

ردّ العجز على الصدر:

أو كما يسميه **ابن رشيق** "التصدير". وهو رد أعجاز الكلام على ما تقدمها.

وهي ثلاثة أقسام:

الأول حين توافق آخر كلمة في العجز آخر كلمة في الصدر:

مثل قول الشاعر:

[1]- المرجع السابق، ص62.

تلقى إذا ما الأمر كان عرمرما * في الجيش رأي لا يفل عرموم**

أو قول آخر:

ومن كان بالبيض الكواعب مغرما * فما زلت بالبيض القواضب مغرما.**

الثاني أن توافق آخر كلمة في العجز أول كلمة في الصدر:

مثل قول **الأقيشر الأسدي:**

سريع إلى ابن العم يشتم عرضه * وليس إلى داعي الندى بسريع.**

وفي رواية أخرى لـ**خطيب القزويني:**

سريع إلى ابن العم يلطم وجهه * وليس إلى داعي الندى بسريع.**

الثالث وهو ما يوافق آخر كلمة في العجز مثل قول الشاعر:

عميد بني سليم أقصدته * سهام الموت وهي له سهام.**

وقول **الحاسمي:**

وإن لم يكن إلا معرج ساعة * قليلا، فإني نافع لي قليلها.**

✓ **الباب الخامس:**[1]

المذهب الكلامي:

سماه **عمرو الجاحظ** بالمذهب الكلامي وعرفه **الخطيب القزويني** بقوله: هو أن يورد المتكلم حجة لما يدعيه على أهل الكلام، كقوله تعالى: ((لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا)) الأنبياء: 22.

وعرفه **أبو هلال العسكري** بقوله: هو إيراد حجة للمطلوب على طريقة أهل المنطق، وهي أن تكون المقدمات مسلمة مستلزمة للمطلوب.

أمثلة من كلام القدامى:

قال **ابو الدرداء:** إن أخوف ما أخاف عليكم أن يقال: علمتُ فماذا عملتُ.

وقال **عمر لعبد الله بن عباس:** من ترى أن نوليه حمص؟ قال رجلا صحيحا منك صحيحا لك، قال: أنت ذلك الرجل، قال: لا ينفع بي مع سوء ظني في سوء ظنك بي.

المحدثون:

قال **إبراهيم بن العباس:**

وعلمني كيف الهوى وجهلته * وعلمكم صبري على ظلمكم ظلمي**

وأعل إلي عندكم فيميل بي * هواي ألى جهلي فأعرض عن حلمي.**

[1]- المرجع السابق، ص69.

وقال **الطائي**:

المجد لا يرضى بأن ترضى بأن * يرضى المؤمل منك إلا بالرضا.**

✓ باب محاسن الكلام والشعر :[1]

محاسن الكلام كثيرة بحيث ان البديع لا يقتصر فقط على الفنون الخمسة وحدها فقط وكما قال ابن المعتز في هذا الباب:" ويعلم الناظر أنا اقتصرنا بالبديع على الفنون الخمسة، اختيارا من غير جهل بمحاسن الكلام". حيث انه قام بتصنيف البديع الى فنون لغوية خمسة في باب والى محاسن الكلام في باب آخر خاص .

- **الالتفات** :

ومعناه الانصراف من معنى إلى معنى آخر. مثلا انصراف المتكلم عن المخاطبة إلى الإخبار والعكس.

مثل قول **جرير** :

ودعا الزبير فما تحركت الحبى * لو سمتهم أكل الخزير لطاروا.**

- **الرجوع** :

ومعناه أن يقدم المتكلم عن قول شيء ويرجع عنه: كقول أبو نواس:

يا خير من كان زمن يكون * إلا النبي الطاهر الأمين**

إمام عدل ما له قرين * أستغفر الله بلى هارون.**

[1]- المرجع السابق، ص73.

- **حسن الخروج :**

حيث يسميه البعض بالاستطراد والبعض الآخر بالتخلص، أما **القزويني** فعرفه بالانتقال. ومنه حسن الخروج من معنى إلى معنى آخر.

حيث قال **السموأل** :

وإنا لقوم ما نرى القتل سبة * إذا ما رأته عامر وسلول.**

وفي **قول زهير:**

إن البخيل ملوم حيث كان ولـ * ـكن الجواد على علاته هرم .**

- **تأكيد المدح بما يشبه الذّم :**

حيث شرحه **عرفان مطرجي** محقق الطبعة في الهامش انه خلاف "حسن الخروج"، من حيث المعنى. هو ضربان :

- ✓ أولا: استثناء صفة مدح منفية عنه بتقدير دخولها على صفة المدح.
- ✓ والثاني: هو في اثبات صفة ذم بشيء ما تعقبها اداة استصناء حيث تكون الصفة المستثنى بها صفة ذم اخرى لذلك الشيء.

- **تجاهل العارف :**

سماه **السكاكي** "سوق المعلوم مساق غيره لنكهة"، كالتوبيخ والمعاتبة وتدليل الحبيب أو الذّم.

حيث قال **ابن أبي تيمية** :

فديتك لم تشبع ولم ترو من هجري * أتستحسن الهجران أكثر من شهر؟**

أراني سأسلو عنك إن دام ما ترى * بلائقة، لكن اظمن ولا أدري.**

- **هزل يراد به الجد :**

كقول **أبو العتاهية** :

أرقيك أرقيك باسم الله أرقيكا * من بخل نفس لعل الله يشفيكا**

ما سلم نفسك إلا من تتاركها * وما عدوك إلا من يرجيكا.**

وفي قول **أبو نواس**:

إذا ما أتاك تميمي أتاك مفاخرا * فقل: عدّ عن هذا ، كيف أكلك للضب.**

- **حسن التضمين :**

وهو أن يضمن الشاعر شيئا من شعر الغير في شعره. وعرّفه **ابن الأثير** بالنسخ وعرفه **أبو هلال العسكري** بوقوع الحافر على الحافر. أما **القزويني** فعرفه بالانتحال. والتضمين أربعة أضرب هي: التام والمجزوء والمحرف والمقلوب.

حيث قال **الأُخيطل**:

إذا دله عزم على الجود لم يقل * غدا عودها إن لم تعقها العوائق**

ولكنه ماض على عزم يومه * "فيفعل ما يرضاه خلق وخالق".**

- **التعريض والكناية :**

حيث أن التعريض هو التلميح بالمعنى دون الكشف والتصريح.

أما الكناية فهي لفظ أريد به لازم معناه، مع قرينة لا تمنع من إيراد المعنى الأصلي.

قال **علي** رضي الله عنه لـ**عقيل** ومعه كبش له: احد الثلاثة أحمق. فقال **عقيل**: أما أنا وكبشي فعاقلان.

وقال شاعر في **حجّام** :

أبوك أب ما زال للناس موجعاً * لأعناقهم نقر كما ينقر الصقر**

إذا عوج الكتاب يوم سطورهم * فليس بمعوج له أبدا سطر.**

- **الإفراط في الصفة :**

حيث يسميه البعض المبالغة ويقسمه إلى ثلاثة مستويات التبليغ، الإغراق، الغلو . حين قال **ابراهيم بن عباس الصولي** في قوله :

يا أخاً لم أرى في الناس خلا * مثله أسرع هجراً ووصلاً.**

وقال **أبو نواس** :

ملك أغر إذا اختبى بنجاده * غمر الجماجم والسماط قيام**

قال **امرؤ القيس**:

ومسودة السك موضونة * تضاءل في الطي كالمبرد**

تفيض على المرء أردانها * كفيض الآتي على الجدجد**

وقال أيضاً:

كأن قلوب الطير رطبا ويابسا * لدى وكرها العناب والحشف البالي**

- **لزوم ما لا يلزم :**

ويقصد به هو إعنات الشاعر نفسه في القوافي، وتكلفه في ما ليس له .

يقول شاعر :

يقولون في البستان للعين لذة * وفي الخمر والماء الذي غير آسن**

فان شئت إن تلقى المحاسن كلها * ففي وجه من تهوى جميع المحاسن**

وانشد **إسحاق ابن إبراهيم الموصلي:**

إذا ما كنت يوما مستضافا * فقل للعبد يسقي القوم برا**

فحسن البر مكرومة ومجد * ومدفأة إذا ما خفت قرا.**

- **حسن الابتداء :**

حين قال **النابغة الذبياني :**

كليني لهم من يا أميمة ناصبي * وليل أُقاسيه بطيء الكواكب**

وقال **أبو تمام :**

اجل أيها الربع الذي خف أهله * لقد أدركت فيك النوى وما تحاوله.**

- **التورية:**

وهو حين يذكر المتكلم لفظاً مفرداً له معنيين. قريب ظاهر (غير مراد)، وبعيد خفي (مراد).

في قول **بدر الدين الذهبي:**

يا عادلي فيه قل لي إذا بدا كيف أسولو * يمر بي كل يوم وكلما مر يحلو**

أنواع التورية: التورية المجردة تورية المرشحة والتورية المبينة. التورية المهيأة.

- **الاعتراض :**

وهو من محاسن الكلام في الشعر والنثر، وهو أن يعترض المتحدث بكلامه كلاماً آخر قبل أن يتمم المعنى ثم يعود إلى إتمامه.

كقول **كثير عزه :**

لو أن الباخلين وأنت منهم * رأوك تعلموا منك المِطالا**

نظيره قول **النابغة الجعدي:**

ألا زعمت بنو سعد بأني * ألا كذبوا كبير السن فاني.**

المبحث الثالث: البديع في كتاب "البديع".

يصح لنا أن نقول: إن **أبا تمام** كان يمثل "مشكلة فنية" لدى **ابن المعتز** وأن هذه المشكلة بدأت مبكرة في تصوره لها، وكانت سببا من الأسباب التي وجهته إلى تأليف كتاب "البديع"، ليدل على أن هذا الفن موجود عند العرب وفي القرآن، والحديث، وكلام الصحابة، وأن المحدثين لم يكونوا مبتكرين له.

وضع **ابن المعتز** كتاب "البديع"، وألفه رداً على من كان يزعم من معاصريه أن **بشاراً بن برد، ومسلم بن الوليد، وأبا نواس،** كانوا قد سبقوه إلى هذا العلم الأدبي في شعرهم: فهو يقول في مقدمة كتابه: ((قد قدمنا في أبواب كتابنا هذا بعض ما وجدنا في القرآن واللغة، وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكلام الصحابة، والأعراب وغيرهم من أشعار المتقدمين، من الكلام الذي سماه المحدثون "البديع" ليعلم أن بشاراً ومسلماً، وأبا نواس ومن تقيلهم، وسلك سبيلهم، لم يسبقوا إلى هذا الفن، ولكن كثر في شعرهم، فعرف في زمانهم، حتى سمي بهذا الاسم، فأعرب عنه ودل عليه)).[1] ويضيف **ابن المعتز** قائلا في موضع آخر من كتابه: ((وكان بعض العلماء يشبه الطائي بصالح عبد القدوس في الأمثال، ويقول: لو أن صالحاً نشر أمثاله في شعره، وجعل بينها فصولاً من كلامه لسبق أهل زمانه، وغلب على مد بيانه، وهذا أعدل كلام سمعته في هذا المعنى)).[2]

وقد كان **ابن المعتز** على وعي بأن هذا الفن لم يعرفه العلماء باللغة والشعر القديم، ولا يدرون ما هو وما هي الأنواع التي تقع تحته، وأنه مبتدع في استقصائه لصور وأنواعه غير مسبوق إلى ذلك.

1 – ابن المعتز:" البديع "، ص01.

2 – المصدر نفسه، ص 03.

ويشير **ابن المعتز** إلى غرضه من تأليف الكتاب فيقول: ((وإنما غرضنا من هذا الكتاب، تعريف الناس أن المحدثين لم يسبقوا المتقدمين إلى شيء من أبواب البديع)).[1] وفي وضع آخر يشير إلى أنه أول من نظم وجمع فنون هذا العلم فيقول: ((وما جمع فنون البديع ولا سبقني إليه أحد، وألفته سنة أربع وسبعين ومائتين)).[2]

ويتضح لنا غرض **ابن المعتز** من كتاب "البديع" هو إثبات أن دعاة التجديد من الشعراء المحدثين، لم يكونوا صادقين فيما زعموا من أن البديع هو من صنعهم واختراعهم، إذ ذهب **ابن المعتز** لحشد الأمثلة الكثيرة من الأدب القديم عند العرب التي تظهر أن هذه الأساليب البديعية، كانت كثيرة التداول لدى الشعراء والأدباء من قبل، ولذلك يمكن للمرء أن يستنتج أن المحدثين لم يسبقوا إلى هذا ولكنه كثر في أشعارهم فعرف في زمانهم، حتى بات يظن أنه عرف في زمانهم. ومن ذلك نرى أن دعاة التجديد من الشعراء المحدثين كانوا يزعمون أن البديع من صنعهم واختراعهم، وأن **ابن المعتز** لهذا وضع كتابه ليدلل به على بطلان هذا الزعم،[3] وليثبت بالأمثلة الكثيرة من الأدب القدم أن العرب قد عرفوا هذه الأساليب البديعية من قبلهم. وإذن فالمحدثون لم يسبقوا إلى هذا، وأن ((حبيب بن أوس من بعدهم شغف به حتى غلب عليه وتفرغ فيه وأكثر منه، فأحسن في بعض ذلك، وأساء في بعض وتلك عقبي الإفراط وثمرة الإسراف)).[4]

يعتبر النقاد العرب كتاب " البديع " ذا أهمية بالغة في النقد العربي وتطوره لأنه أول من شق هذا الطريق في التأليف، وهو جمع الفنون الأسلوبية التي اعتاد الشعراء والبلغاء استخدامها، كما أن أهميته أيضا ترجع إلى تحديده لخصائص مذهب البديع، وتأثيره في

1 – المصدر نفسه، ص 03.

2 – المصدر نفسه، ص 58.

3 – عبد العزيز عتيق:" تاريخ النقد الأدبي عند العرب ". ص 395.

4 – المصدر السابق، ص 01.

النقاد اللاحقين له،[1] ومع أن كتاب " البديع " يدور حول البلاغة، إلا أننا نجد في ثناياه على بعض الوثبات النقدية القيمة. فنجده أنه يتناول الأدب تناولاً فتياً، ويشرح العناصر التي تزيده حساً، يقول الدكتور **داود غطاشة**: ((وبكتاب "البديع" انتقل النقد إلى طور جديد، هو طور العناية بالصورة، وتوجيهه إلى رسالة الشكل، وقد كان الجهد قبله محصوراً في نقد المعاني والأفكار، والإشارة بقوتها وفخامتها، ونجد أن الكتب السابقة له قد اقتصرت في نقدها للأساليب، على أن تكون بعيدة عن الأخطاء النحوية أو اللغوية. أما الصور الأدبية فلم تكن تظفر بشيء من العناية))،[2] فالواقع أن نظرة **ابن المعتز** الألوان البديعية لم تكن نظرة الافتتان الأعمى، بل وجد أن بعضها حسن والبعض الآخر قبيح.

فكان يذكر في أول كل باب الأمثلة الحسنة ثم يذكر بعد ذلك الأمثلة القبيحة، فقد أخذ **ابن المعتز** يبحث عن خصائص مذهب "البديع"، وحاول أن يحصيها في الجزء الأول من كتابه ، وكان هذا في ما يرى **محمد مندور**: ((من أكبر الأسباب التي مكنت للخصومة بين أنصار القديم وأنصار الحديث، إذا أصبحت مبادئ المذهب المعروفة محددة)).[3] والحقيقة أن هذا "البديع" يعد أول محاولة علمية جادة في تدوين علم البديع، بل في علوم البلاغة التي كان يطلق عليها في عصره كلمة البديع أحياناً، و كلمة البيان أحيانا أخرى، كما في كتاب "البيان والتبيين" لـ**الجاحظ**.

كان **ابن المعتز** كما سبقت الإشارة واحداً من أعلام الاتجاه الشعري الجديد الذي يعرف باسم "المذهب البديعي"، والذي كان يقوم على أساس الاهتمام بالتصوير الشعري الطريف المبتكر المعتمد على نوع من الغرابة والجدة في صياغة الصور البلاغية المألوفة من

1 – داود غطاشة الشوابكة:" النقد العربي القديم حتى نهاية القرن الخامس للهجرة ". ص 97.

2 – الرجع نفسه، ص 97.

3 – محمد مندور :" النقد المنهجي "، ص 61.

تشبيه واستعارة، وطباق، وجناس، وقد أكثر رواد هذا الاتجاه من استخدام هذه الصور البلاغية التي اشتهرت باسم البديع حتى غلب عليهم اسم شعراء البديع، وعرف اتجاههم هذا في تاريخ الأدب والنقد باسم "الاتجاه البديعي"[1].

وابن المعتز يستعمل مصطلح " البديع " في كتابه بالمعنى الشائع في عصره لهذا المصطلح، وهو الصور البلاغية الطريقة المبتكرة، فلم يكن المصطلح قد تحدد له بعد معناه الإحصائي الذي يعرف به الآن، والذي ينحصر في مجموعة من المحسنات اللفظية والمعنوية المحددة، أما طوال القرنين الثالث والرابع فقد كان المصطلح يطلق على كل الصور البلاغية الطريفة.

أطلق الجاحظ من قبل مصطلح "البديع" على بعض صور الاستعارة، وقد تابع **ابن المعتز الجاحظ** ونقاد عصره في اعتبار الاستعارة من البديع حيث عدها بابا من أبواب البديع، وأولاها من اهتمامه، ما لم يوله لفن آخر من فنون البديع، والواقع أن نظرة **ابن المعتز** للألوان البديعية لم تكن نظرة الافتتان الأعمى، بل وجد أن بعضها حسن والبعض الآخر قبيح فكان يذكر في أول كل باب الأمثلة الحسنة، ثم يذكر بعد ذلك الأمثلة القبيحة كما هو الحال في باب الاستعارة مثلاً.[2]

إذن فالبديع الذي يضم ألوان البلاغة المختلفة لم يفرد له كتاب قائم بذاته قبل كتاب **ابن المعتز**، وإنما كانت أبواب البديع موزعة منشورة في كتب السابقين مثل **ابن قتيبة والجاحظ والمبرد**، ولم يجمعها كتاب واحد. فقيمة كتاب البديع لـ**ابن المعتز** لا ترجع إلى أنه يتحدث عن ألوان من البديع لم يسبق إليها، فمعظم هذه الألوان البديعية كانت معروفة ومشهورة عند غيره من السابقين، وإنما قيمة الكتاب الحقيقية ترجع إلى أنه ضم ألوان البديع

1 – علي عشري زايد:" النقد الأدبي والبلاغة "، ص 65.

2 – ينظر، البديع، ابن معتز، ص 52.

التي كانت سائدة في عصره بين دفتي كتاب واحد، فـ**ابن المعتز** اقتصر على ما كان مشهوراً و شائقاً في عصره وقبل عصره فقط فبعض الألوان البديعية، كالتجنيس، والمطابقة كان معروفاً عند **الخليل بن أحمد**، وبعضها كالتشبيه والاستعارة، كما كان بعضها معروفاً عند **الفراء**، و**ابن قتيبة**، و**المبرد**، و**ثعلب**، ومن ثم نرى **ابن المعتز** يقرر أنه لم يحط في كتابه بألوان البديع كلها فيقول: ((ونحن الآن نذكر بعض محاسن الكلام والشعر، ومحاسنها كثيرة لا ينبغي للعالم أن يدعي الإحاطة بها)).[1]

ومنهاج **ابن المعتز** في الكتاب يعد منهاجا علميا بالدرجة الأولى،[2] فهو يسير على نمط واحد يسلك سبيلا محددا في إبراز فكرته عن البديع متبقا في ذلك سرد الأمثلة من القرآن الكريم في كل لون من ألوان البديع، ويتبعها بأمثلة من أحاديث رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، وكلام الصحابة والأعراب وغيرهم، وأشعار المتقدمين، ثم يأتي في النهاية بأمثلة من أشعار المحدثين في هذا الفن الذي يتحدث عنه، ليجعلنا نؤمن معه أن البديع شيء لم يسبق إليه المحدثون، ولم يبتكروه ابتكارا من عند أنفسهم.

إن كتاب "البديع" هو أول كتاب يتناول الأدب تناولاً فنياً، ويدرس ألوان البديع، ومسائل البلاغة بطريقة منهجية منظمة، تعرض بالتعريف والشرح لهذه الألوان، وقد انتقل النقد الأدبي بهذا الكتاب إلى طور جديد طور العناية بدراسة العبارة ونقدها، وإذن فـ**ابن معتز** معلمه هذا قد ساعد على خلق النقد المنهجي بتحديده لخصائص مذهب البديع، ووضعه اصطلاحات لتلك الخصائص، وعنه أخذ من جاء بعده،[3] خلق هذه الاصطلاحات حادث جديد في القرن الثالث الهجري.

---

1 – المصدر نفسه، ص 52.

2 – عبد القادر حسين :" المختصر في تاريخ البالغة ". ص 99.

3 – محمد مندور:" النقد المنهجي ". ص 61.

وهو حادث له أهمية في دفع النقد الأدبي إلى شيء من المنهجية والعلمية، فالكتاب يعد نواة لظهور مقياس نقدي جديد هو "المقياس البديعي" الذي أخذ يقيس الأدب بما يرد فيه من ألوان بديعية، وتلك الألوان لا تكتسب صفة القبول والحسن إلا إذا تطلبنا المعين، واستدعاها.. أما إذا تكلفها الشاعر وسعى إليها وتعمّدها، وأسرف في استخدامها، كانت مستكرهة. لم يدع إليها المعين، ولم يطلبها وعندئذ تكون معيبة ولا تحسن.[1]

ابن المعتز يتناول في كتابه "البديع" ثمانية عشر لونا من ألوان البديع، ولا يمنحها جميعا اسم البديع، وإنما يقتصر على خمسة منها فقط تحت اسم البديع وهي: الاستعارة، والتجنيس، والمطابقة، ورد أعجاز الكلام على ما تقدمها، والمذهب الكلامي. أما بقية ألوان البديع وعددها ثلاثة عشر لونا يضعها تحت اسم محاسن الكلام وهي: الالتفات، والاعتراض، والرجوع، والخروج من المعنى إلى معين، وتأكيد المدح بما يشبه الدم، وتجاهل العارف، والهزل يراد به الجد، وحسن التضمين والتعريض والكناية، والإفراط في الصفة، وحسن التشبيه، وإعنات الشاعر نفسه في القوافي، وتكلفه من ذلك ما ليس له وهو ما يسمى لزوم ما لا يلزم، وحين الابتداء، وكأن **ابن المعتز** حين وضع بعض هذه الألوان تحت اسم البديع، وبعضها الآخر تحت اسم محاسن الكلام قد قصد إلى ذلك قصداً. يقول الدكتور **عبد القادر حسين:** ((كأنه بهذه التفرقة في التسمية يفرق بين هذه المجموعة وتلك... ليبين أن هذه الأنواع الخمسة التي تحمل اسم البديع يقصد بها الابتكار، اشتقاقاَ من كلمة الإبداع مصدراً لأبدع، على حين أن الأنواع الثلاثة عشر الأخرى التي تحمل اسم محاسن الكلام، لا يقصد بها إلا الحسن والجمال. ولا شك أن الجمال والحسن أقل قيمة من

1 – ينظر: بسيوني عبد الفتاح فيود:" قراءة في النقد القديم ". ص 137.

الإبداع))[1]، ورغم ذلك حين تناول المتأخرون ألوان البديع في كتبهم، لا يفرقوا بين ألوان البديع ومحاسن الكلام، وجعلوها جميعها تحمل اسماً واحداً وهو اسم البديع.

كما أن علم البديع عند **ابن معتز**، قائم على النظر في اللفظ والمعنى، فهو ينظر إلى المعنى الحسن كما ينظر إلى اللفظ الحسن، كذلك ينظر إلى المعنى المعيب.[2] ولم يكن من أنصار اللفظ في مقابل المعنى، ولا من أنصار المعنى في مقابل اللفظ، إنما كان يلح على الجمع بين الاثنين في مجال محاسن الشعر والكلام. يقول الدكتور **شوقي ضيف**: ((فقد كان ابن المعتز معتدلا في نضرته وحكمه على شاكلة الجاحظ وغيره من المتكلمين، فهو يسوي بين المحدثين والقدماء في الإحسان مع شيء من الاحتياط إزاءهم جميعا، وهو احتياط جعله يعقب على شواهدهم الرائعة في فنون البديع بما يعاب من كلامهم وأشعارهم جميعاً)).[3]

فقد كان **ابن المعتز** يجد أن محاسن الشعر كثيرة ولا يستطيع إنسان أن يحيط بها فهو يقول: ((ونحن الآن نذكر بعض محاسن الكلام والشعر، ومحاسنها كثيرة لا ينبغي للعالم أن يدعي الإحاطة بها، حتى يتبرأ من شذوذ بعضها عن علمه وذكره))[4]

يعتبر كتاب "البديع" محدد خصائص مذهب البديع، وهو من فصلها عن غيرها من الطرق البلاغية، وبذلك فطن النقاد إلى هذا الاتجاه الجديد في الشعر وعرفوا بطريقة تحليلية لما فيه من جديد في الشعر، وكان لهذا أثر بعيد في مؤلفاتهم، وطريقة تناولهم للنقد على نحو منهجي.[5] كما أنه قد ردّ هذه الأوجه البديعية إلى أصول التراث العربي، ونحن لا

1 – عبد القادر حسين:" المختصر في تاريخ البلاغة ". ص 100.

2 – قصي الحسين : " النقد الأدبي عند العرب واليونان " ص 346.

3 – شوقي ضيف:" البلاغة تطور وتاريخ ". ص 74.

4 – البديع: ص 58.

5 – محمد مندور :" النقد المنهجي ". ص 73.

ننكر أن ما ذكره **ابن المعتز** في "البديع" من ألوان البيان والبديع، إنما كان يمثل أشكال الحلي، وأنواع التزيين الذي يحسن بالشعر أن يتزين بها، كذلك كان ينظر إلى الألفاظ، والصورة الفنية على أنها شكل من أشكال التزيين الفني في الشعر، علما أن **ابن المعتز** كان يرى في المقابل أن المعنى في الشعر هو الجوهر، وأن الألفاظ عبارة عن مسائل لتزيين هذا الجوهر وتنميقه، وذلك أنه كان ما يزال متأثراً بعبارة **الجاحظ** الشهيرة التي أراد بها أن الشعر صياغة وضرب من النسيج، وجنس من التصوير.[1]

ذهب الدكتور محمد مندور إلى اعتبار كتاب ابن المعتز " البديع" كتاباً علماً قصد إلى إيضاح مبادئ ووضع تقسيمات، فهو خال من النقد.[2]

كان **ابن المعتز** يستحسن حينما ينبغي الاستحسان، ويستهجن حينما ينبغي الاستهجان بغض النظر عن القدم، والحداثة إذا المعول على الحسن الذاتي لا على الزمان ولا على المكان،[3] ومهما يكن من شيء فإن كتاب **ابن المعتز** هو أول مؤلف في البديع سار فيه على منهج كان غريباً على العلماء، وهو نسيج وحده بين الكتب الكثيرة المؤلفة في عصره وقبل عصره، ومن الغريب أن لا يثير **ابن المعتز** في "البديع" إلى كتاب "قواعد الشعر" مع أنه ساق بعض شواهد الواردة في "قواعد الشعر"، ومع أثق قريب في تحديد الاستعارة وغيرها من أساتذه **ثعلب**. بل ومن الغريب أيضاً أن يخالفه في تسمية "الطباق" الذي سماه **ثعلب** "محاورة الأضداد"، وفي تسمية "الجناس" الذي سمى **ثعلب** نوعا منه "المطابق"، ولكن

1 – قصي الحسين، "النقد الأدبي عند العرب واليونان"، ص347.

2 – انظر: النقد المنهجي، لأحمد مندور، ص 73-74.

3 – شوقي ضيف:" البلاغة تطور وتاريخ ". ص 74 – 75.

لا ضير في اختلاف الاصطلاحات[1]، فلكل مؤلف أو مبتكر الحق في تسمية ما يشاء بما يشاء.

وترجع قيمة الكتاب إلى أنه أول كتاب في تاريخ النقد العربي والبلاغة العربية جمع هذه المجموعة الكبيرة من الفنون البلاغية في كتاب واحد، حشد المؤلف من خلال كتابه أمثلة لكل فن من الفنون الثمانية عشر، وقد رأى في ذلك تحقيقاً لهدف الكتاب وهو إثبات أن البديع أقدم من **بشار** و**مسلم** و**أبي نواس**، و**أبي تمام**، وغيرهم من المحدثين.

و**ابن المعتز** يُتبع في كل الفنون الخمسة التي أطلق عليها اسم البديع، يُتبعها بالنماذج الجيدة، ولم يذكر أحد قبله اشتغل في فنون البديع، سوى **الأصمعي** الذي ذكره فقال أن له بحثا في "الجناس"، و**الجاحظ** الذي قال عنه أنه اهتدى إلى ما سماه "المذهب الكلامي"، وقد أدرك **ابن المعتز** أنه سوف يأتي بعده من يقلل من قيمة عمله فيسارع إلى القول: ((ولعل بعض من قصر عن السبق إلى تأليف هذا الكتاب، ستحدثه نفسه، وتمنيه مشاركتنا في فضيلته، فيسمى فاناً من فنون البديع بغير ما سميناه به، أو يزيد في الباب من أبوابه كلاماً منثوراً، أو يفسر شعراً لم نفسره، أو يذكر شعراً لم نفسره، أو يذكر شعراً قد تركناه ولم نذكره: إما لأن بعض ذلك لم يبلغ في الباب مبلغ غيره فألقيناه، أو لأن فيما ذكرناه كافياً ومغنياً، وليس من كتاب إلا وهذا ممكن فيه لمن أراده، وإنما غرضنا في هذا الكتاب تعريف الناس أن المحدثين لم يسبقوا المتقدمين إلى شيء من أبواب البديع، وفي دون ما ذكرنا مبلغ الغاية التي قصدناها)).[2]

1 – ثعلب، "قواعد الشعر"، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي، طبعة دار الجيل، ط1، 2005، ص 21.

2 – البديع، ابن معتز ص 02 – 03.

وأخيراً بعدما رأينا سبق **ابن المعتز** في هذا الابتكار والإبداع في فنون البديع، يمكن اعتبار كتابه كبوابة لمرحلة جديدة من عمر النقد ألا وهي مرحلة النقد المنهجي المعدل والذي رأيناه مع نماذج من أقطابه وهما **الآمدي** صاحب كتاب "الموازنة"، و**عبد العزيز الجرجاني** صاحب كتاب "الوساطة" وبعدها جاءت المرحلة الأخيرة أين تحول النقد فيها وسار نقداً بلاغياً على يد **أبي هلال العسكري** صاحب كتاب "سر الصناعتين"، و**عبد القاهر الجرجاني** صاحب كتابي "دلائل الإعجاز" و"أسرار البلاغة".

حسبنا من كتاب "البديع" لابن المعتز أنه أول من صنف في البديع، ورسم فنونه، وكشف عن أجناسها وحدودها بالدلالات البينة والشواهد الناطقة بحيث أصبح إماماً لكل من صَّنفوا في البديع.

خاتمـــة.

خاتمة:

وفي الأخـير وبعـدما تعرفنـا علـى نظـام البـديع في النقـد العـربي، وتتبعنـا مسـار تحـول الذوق النقدي العربي خلال العصور الأولى، خلصنا إلى النتائج التالية:

- وصـل الإبـداع الشـعري في العصـر الجـاهلي أوجـه، ليبلـغ مكانـه رفيعـة في البـديع والـنظم الشعري.
- لم يـبرع الجـاهليون في شـيء غـير الصـنعة الشـعرية، واعتنـوا بكلامهـم علـى المسـتويين: الشـكل والمضـمون. عنايـة فائقـة. لأن قـوة أشـعارهم كانـت تمثـل قيمـة صـاحبها وفخـر نسله وسلاح قبيلته.
- النقـد العـربي الجـاهلي ذوق انطبـاعي تأثـري، أساسـه استحسـان الشـعر أو اسـتهجانه من دون العودة إلى أسس متعارف عليها أو التبرير أو التعليل.
- كان للنقد الجاهلي مواسم ومجالس وأسواق يقصدها الشعراء من كل البلاد العربية.
- تحـول الـذوق النقـدي في عصـر صـدر الإسـلام إلى نقـد أخلاقـي وموعظـة تهـذب الشـعر وتحرم نظم ورواية البذيء منه.
- كثـر شـعر الهجـاء في عصـر صـدر الإسـلام وكثـرت الآراء النقديـة حـول كـل مـا يقـال لتصنيفه إن كان يدعم قضية التوحيد أو كان ضدها. ليتم رفضه أو التشييد به.
- الصـراع علـى الخلافـة وتطـور الحيـاة في جميـع مسـتوياتها خـلال العصـر الأمـوي خلـق جـوا جديدا وغير معهود للشعر العربي ونشأت أغراض جديدة وتبدلت الأذواق قليلا.
- مـيلاد شـعر النقـائض والنسـيب وغيرهمـا بسـبب تخلـي الأمـويين عـن كثـير مـن قواعـد النظم التي جاء بها القرآن والحديث.
- أيضاً عناية الخلفاء الأمويين والأمراء بمجالس الأدب والنقد ساهم في ازدهارهما.

- بسـبب شـيوع العلـوم والتـداخلات الثقافيـة والحضـارية، وامتـزاج المعـارف والآداب، أدى إلى نشـوء حركـة التـدوين، والترجمـة، والجمـع والتـأليف. والتنظـير والتطبيـق. مـا جعـل التراث العربي القديم يصل الينا اليوم.
- مبـادرة علمـاء اللغـة والأدب والشـعر إلى تأليـف كتـب في النقـد العـربي وجمـع أشـعار العرب وتذوقها عبر إنشاء مناهج سليمة ودقيقة تولي كل قصيدة حقها.
- ازدهـار النقـد العـربي ووضـع قواعـده وأسسـه الأولى وفـتح البـاب للأجيـال الـتي بعـدها لتنمية هذه القواعد والأسس المبتكرة والخاصة بالشعر العربي.
- كتـاب "الموازنـة" للآمـدي، يمثـل نقطـة انعطـاف النقـد العـربي نحـو التعقيـد والتعليـل والتفكير، استناداً إلى ثقافة عربية ممتازة وذوق يحسن الاختيار.
- تنبـه القاضـي الجرجـاني إلى مبـادئ في الـذوق الشـعري في كتـاب "الوسـاطة"، تـدعم وحدة العمل الفني، والفصل بين الناحيتين الأخلاقية والفنية في الأدب.
- سـبق صـاحب كتـاب "البـديع" عبـد الله بـن المعتـز وتفـرد في تحديـد خصـائص مـذهب البديع.
- سـاهم مؤلـف ابـن المعتـز في البـديع العـربي ومنهجـه النقـدي في التـأثير في النقـاد اللاحقين له، وفي تبلور نقدهم ومنهجهم.
- كتـاب "البـديع" أول مصـنف في علـم البـديع، الـذي رسـم ابـن المعتـز فنونـه، وكشـف عـن أجناسـه وحـدوده بالـدلالات البيّنـة والشـواهد الناطقـة. فأصـبح صـاحب "البـديع" إماماً لكل من صَّنفوا في علم البديع.

وما توفيقي إلا بالله.

قائمة المصادر والمراجع.

أ.المصـادر:

- القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

01- ابن الأثير: "المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر " تحقيق احمد الحوفي وبدوي طبانة طبعة دار النهضة مصر –الفجالة د/. ت

02- ابن الأنباري : "نزهة الألباء في طبقات الأدباء " تحقيق أبو الفضل ابراهيم –طبعة دار النهضة مصر 1962.

03-ابن رشيق القيرواني: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده" تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد طبعة دار الجيل. ط 5، 1981.

04-ابن المعتز: " البديع " تحقيق عرفان مطرجي. الطبعة الأولى (1433هـ - 2012م). مؤسسة الكتب الثقافية للطبع والنشر والتوزيع، بيروت لبنان.

05-ابن النديم "الفهرست" تحقيق يوسف علي طويل – طبعة دار الكتب العلمية بيروت ط2، 2000.

06- ابن سلام الجمحي: "طبقات الشعراء " تحقيق ج - هيل طبعة ليدن 1916 وطبعة القاهرة 1920

07- ابن سلام الجمحي: "طبقات الشعراء" تحقيق عمر فاروق الطباع طبعة دار الأرقم بيروت ط 1 1997 .

08- ابن سلام الجمحي: "طبقات فحول الشعراء "تحقيق محمود محمد شاكر طبعة دار المعارف مصر 1952

09- ابن عماد الحنبلي: "شذرات الذهب في أخبار من ذهب" طبعة دار إحياء التراث العربي بيروت طبعة جديدة د/. ت

10- ابن قتيبة الدنوري "الشعر والشعراء " تحقيق احمد محمد شاكر طبعة دار المعارف 1982

11- ابن قتيبة الدنوري: "أدب الكاتب" تحقيق يوسف البقاعي طبعة الدار الفكر بيروت ط 1 2008.

12- أبو بكر الصولي: "أخبار أبي تمام" تحقيق مجموعة من الأدباء ـ تقديم أحمد أمين طبعة دار الأفاق الجديدة بيروت ط3 .1980

11- أبو علي القالي : " الآمالي " نشر دار الكتب بالقاهرة د / .ت

أبو هلال العسكري: "الصناعتين" تحقيق مفيد قميحة طبعة دار الكتب العلمية ط 1 ـ 1981

12- الأصفهاني: "الأغاني" طبعة دار صادر 2002

13- الآمدي: "الموازنة" تحقيق السيد أحمد صقر طبعة دار المعارف القاهرة 1961.1965

14- الثعالبي: " يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر" تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد مطبعة دار السعادة بمصر د.ت /

15- ثعلب: "قواعد الشعر" تحقيق الدكتور عبد المنعم خفاجي : طبعة دار الجبل ط /1 2005 .

16- الجاحظ: "البيان و التبيين" تحقيق عبد السلام هارون ـ مكتبة الخانجي القاهرة د.ت

17- الحاتمي: "الرسالة الموضحة في ذكر سرقات أبي الطيب المتنبي وساقط شعره" تحقيق الدكتور محمد يوسف نجم طبعة بيروت 1965 .

الحسيني: "لطراز في علوم حقائق الإعجاز" راجعه لجنة من العلماء بإشراف الناس طبعة دار الكتب العلمية بيروت د.ت/

18- الخطيب البغدادي "تاريخ بغداد أو مدينة السلام" تحقيق مصطفى عبد القادر عطا طبعة دار الكتب العلمية بيروت ط . 1 1997

19- الخطيب البغدادي: "خزانة الأدب" طبعة بولاق 1299هـ د.ت

20- السبكي: "طبقات الشافعية الكبرى" تحقيق عبد الفتاح الحلو ومحمد الطناحي مطبعة عيسى البابي الحلبي القاهرة ط . 1 1964

21- السيوطي: "تاريخ الخلفاء من الخلافة الراشدة إلى سنة 903 هـ "تحقيق الدكتور رضوان جامع رضوان ـ طبعة مؤسسة المختار للنشر القاهرة ط 4

22- عبد العزيز الجرجاني "الوساطة بين المتنبي وخصومه " تحقيق وشرح أبي ابراهيم وعلي محمد البجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي القاهرة .1966

23- عبد القاهر الجرجاني "أسرار البلاغة " قراه وعلق عليه أبو فهر محمود محمد شاكر طبعة دار المدني القاهرة وجدة ط1 .1991 .

24- عبد القاهر الجرجاني ، "دلائل الإعجاز"، قراه وعلق عليه: أبو فهد محمود محمد شاكر، طبعة دار المدني، القاهرة وجدة ط3 .1992

25- القفطي: "أنباء الرواة على أنباه النحاة " تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم طبعة دار الكتب المصرية، القاهرة 1955 .

26- المرزباني :" الموشح "طبعة جمعية نشر الكتاب العربي مصر 1343هـ

27- المرزوقي: "مقدمة في شرح ديوان الحماسة" تحقيق أحمد أمين، ومحمد عبد السلام هارون، طبعة القاهرة 1951

ب. المراجـع:

1 - : إبراهيم سلامة: "بلاغة أرسطو بين العرب واليونان" طبعة القاهرة ط 2 1952.

2 - إحسان عباس: " تاريخ النقد الأدبي عند العرب" طبعة دار الثقافة بيروت ط 4 1983.

3 - أحمد أمين: " النقد الأدبي " طبعة دار الكتاب العربي بيروت ط 4 1967 .

4 - أحمد مطلوب: "اتجاهات النقد في القرن الرابع الهجري" وكالة المطبوعات الكويت ط 1 1973.

5 - أحمد موسى : " الصبح البديعي " طبعة دار الكتاب العربي 1388هـ .

6 -إسحاق موسى الحسيني : " ابن قتيبة " ترجمة هاشم ياغي المؤسسة العربية و النشر بيروت ط 1 1985 .

7 – أمين الخولي: " مناهج تجديد في النحو و البلاغة و التفسير و الأدب " طبعة القاهرة 1961.

08- يس المقدسي: " مقدمة لدراسة النقد في الأدب العربي " طبعة بيروت الأولى 1958.

9 – بدوي طبانة : " النقد الأدبي عند اليونان " طبعة دار الثقافة بيروت 1986.

10-بدوي طبانة: "أبو هلال العسكري ومقاييسه البلاغية والنقدية" طبعة القاهرة ط 2 1960.

11- بدوي طبانة: "البيان العربي" دراسة تاريخية فنية في أصول البلاغة طبعة الرسالة 1958.

12- بدوي طبانة: "دراسات في نقد الأدب العربي من الجاهلية إلى اية القرن الثالث، مطبعة الأنجلو مصرية ط 1965.

13- بسيوني عبد الفتاح فيود: "قراءة في النقد القديم" طبعة مؤسسة المختار، ط1 ،2010.

14- بلاشير: " ديوان المتنبي في العالم العربي وعند المستشرقين"، ترجمة الدكتور احمد البدوي، القاهرة، /د .ت

15-جابر عصفور: "محمد مندور والتراث النقدي" مصرية السنة الحادية العاشر عدد 6 1975 .

16-جورجي زيدان: "تاريخ آداب اللغة العربية" طبعة دار مكتبة الحياة، بيروت، ط 2 1968.

17- حسن عبد الله شرف: "النقد في العصر الوسيط والمصطلح في طبقات ابن سلام" طبعة دار الحداثة، بيروت، ط1 ،1984.

18- داود غطاشة الشوابكة ومحمد احمد صوالحة: "النقد العربي القديم" طبعة دار الفكر، عمان، ط1 ، 2009 .

19- ربحي مصطفى عليان وعثمان غنيم : " مناهج وأسس البحث العلمي ط" بعة دار صفاء للنشر والتوزيع عمان ط 1 2000.

20- زكريا إبراهيم: "مشكلة الفن"، سلسة مشكلات فلسفية، عدد 3 ،مكتبة مصر، 1976.

21- زكي مبارك: "النثر الفني في القرن الرابع " طبعة دار الجيل، بيروت، د .ت /

22-سمير نعيم: " المنهج العلمي في البحوث الاجتماعية " طبعة دار المكتب – القاهرة ط 1 1992.

23- سيد قطب: "النقد الأدبي أصوله ومناهجه " ، طبعة دار الشروق ط 8 2008.

24- شوقي ضيف : " تاريخ الأدب العربي " العصر العباسي الأول طبعة دار المعارف ط 2 1995.

25- شوقي ضيف: "البلاغة تطور وتأريخ "، طبعة دار المعارف، ط 9 1995.

26- شوقي ضيف: "الفن ومذاهبه في الشعر العربي" طبعة دار المعارف ط 10 1975- .

27شوقي ضيف: "النقد" سلسلة فنون الأدب العربي " دار المعارف بمصر ط 2 1964.

طه أحمد إبراهيم: "تاريخ النقد الأدبي من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجر " ي طبعة دار القلم بيروت د .ت /

29-طه حسين: "في الأدب الجاهلي" دار المعارف بمصر 1962.

30- عبد الرحمن عبد الحميد علي: "النقد الأدبي بين الحداثة و التقليد " طبعة دار الكتاب الحديث بالقاهرة د .ت/

31- عبد الرحمن عبد الحميد علي: "في النقد اليوناني و الأوروبي" طبعة دار الكتاب العربي الحديث بالقاهرة د .ت/

32- عبد الرحمن عبد الحميد علي: "ملامح النقد العربي في القديم" طبعة دار الكتاب الحديث القاهرة 2008 .

33- عبد العزيز عتيق: "تاريخ النقد الأدبي عند العرب" طبعة دار النهضة مصر ط 4 1986.

34- عبد القادر حسين: "المختصر في تاريخ البلاغة" طبعة دار الشروق بيروت ط 1 1982.

35- العقاد: "مطالعات في الكتب والحياة " طبعة دار المعارف القاهرة 1987.

36- عقيل حسين عقيل : "فلسفة مناهج البحث " مكتبة مدبولي 1999.

37- علي بن محمد: " الشواهد النقدية من العصر الجاهلي إلى بداية عصر التأليف " ديوان المطبوعات الجامعية ـ الجزائر 1982.

38- علي جواد الطاهر: "مقدمة في النقد الأدبي" دار المؤسسة العربية للدراسات و النشر ط 1 1979.

39- علي عشري زايد: "النقد الأدبي و البلاغة " في القرنين الثالث و الرابع طبعة مكتبة الشباب القاهرة .ت/د

40-عيسى علي العاكوب: " التفكير النقدي عند العرب" طبعة دار الوعي الجزائر ط 9 2012.

41- غنيمي هلال: "المدخل في النقد الأدبي الحديث " دار النهضة مصر للطباعة و النشر ـ الفجالة القاهرة د .ت/

42- فاروق العمراني: "تطور النظرية النقدية عند محمد مندور" طبعة الدار العربية للكتاب ط 1 1979.

43- قصي الحسين: "النقد الأدبي عند العرب واليونان" طبعة دار المؤسسة الحديثة للكتاب ط 1 2003.

44- كارل بروكلمان: "تاريخ الشعوب الإسلامية" نقله إلى العربية نبيه أمين فارس /منير البعلبكي طبعة دار العلم للملايين بيروت ط 1

45- ازن المبارك: "الموجز في تاريخ البلاغة " طبعة دار الفكر بيروت 1968 .

46-محمد خلف الله أحمد: " من الوجهة النفسية في دراسة الأدب و نقده " طبعة مصر ط 2 1970 " . دراسات في الأدب الإسلامي " طبعة القاهرة 1947.

47- محمد رضوان الداية: "تاريخ النقد الأدبي في الأندلس" طبعة مؤسسة الرسالة دمشق ط 2 1981 48- .محمد زغلول سلام: "تاريخ النقد الأدبي" طبعة دار المعارف الإسكندرية طبعة أطلس د .ت/

49- محمد زغلول سلام:"أثر القرآن في تطور النقد العربي" طبعة دار المعارف بمصر 1961.

50- محمد صايل حمدان: "قضايا النقد القديم" طبعة دار الأمل د .ت/

51- محمد طه الحاجري: " في تاريخ النقد و المذاهب الأدبية " طبعة دار النهضة العربية بيروت 1982.

52- محمد عبد المنعم خفاجة: "مدارس النقد الأدبي الحديث" طبعة مؤسسة الرسالة ط 2 1981.

53- محمد مرتاض: "النقد الأدبي القديم في المغرب العربي" نشأته وتطوره ـ دراسة و تطبيق من منشورات اتحاد كتاب العرب 2000.

54- محمد مندور: " في الأدب و النقد " طبعة دار□ ضة مصر د ت. /

55- محمد مندور: " في الميزان الجديد " نشر وتوزيع مؤسسات ع عبد الله تونس ط 1 1988.

56- محمد مندور: "النقد النهجي عند العرب" ومنهج البحث في الأدب و اللغة مترجم عن الأستاذين : لانسون ومايبه، طبعة دار النهضة مصر الفجالة 1969.

57- محمود السمرة : "القاضي الجرجاني الأديب الناقد" طبعة المكتب التجاري بيروت 1966.

58- جرجي زيدان ،تاريخ التمدن الإسلامي، ج2، ط3، مطبعة الهلال، مصر، 1921.

59- قصي الحسين :" النقد الأدبي عند العرب واليونان " المؤسسة الحديثة للكتاب ط1 2003.

60- محمود السمرة، القاضي الجرجاني الأديب الناقد، بيروت، 1966،

61- ديوان المتنبي، تحقيق: عبد الرحمن البرقوقي، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، ج2، ط2، 1986،

62- داود غطاشة الشوابكة:" النقد العربي القديم حتى نهاية القرن الخامس للهجرة".

فهـرس
المحتويات.

قائمة المحتويات	الصفحة

- المقدمة ..... أ
- المدخل..... 7

الفصل الأول: فكرة البديع في الثقافة الشفوية القديمة.

البديع والذوق الفطري الجاهلي..... 26

البديع والقيم الدينية في المجتمع الإسلامي..... 39

البديع والذوق الجمالي في ظل تطور الحياة الاجتماعية 52

الفصل الثاني: البديع والتحولات الذوق الشعري في العصر العباسي.

مظاهر التحول في الشعر العباسي وازدهاره..... 62

إرهاصات تشكل النقد الذوقي الجديد..... 74

البديع والنقد المنهجي عند العرب..... 82

الفصل الثالث: البديع في كتاب البديع لابن معتز. "نموذج تطبيقي".

ترجمة ابن معتز + بطاقة كتاب البديع..... 99

تلخيص أبواب كتاب البديع لابن معتز..... 103

البديع في كتاب البديع لابن معتز..... 116

- الخاتمة..... 127
- قائمة المصادر والمراجع..... 130